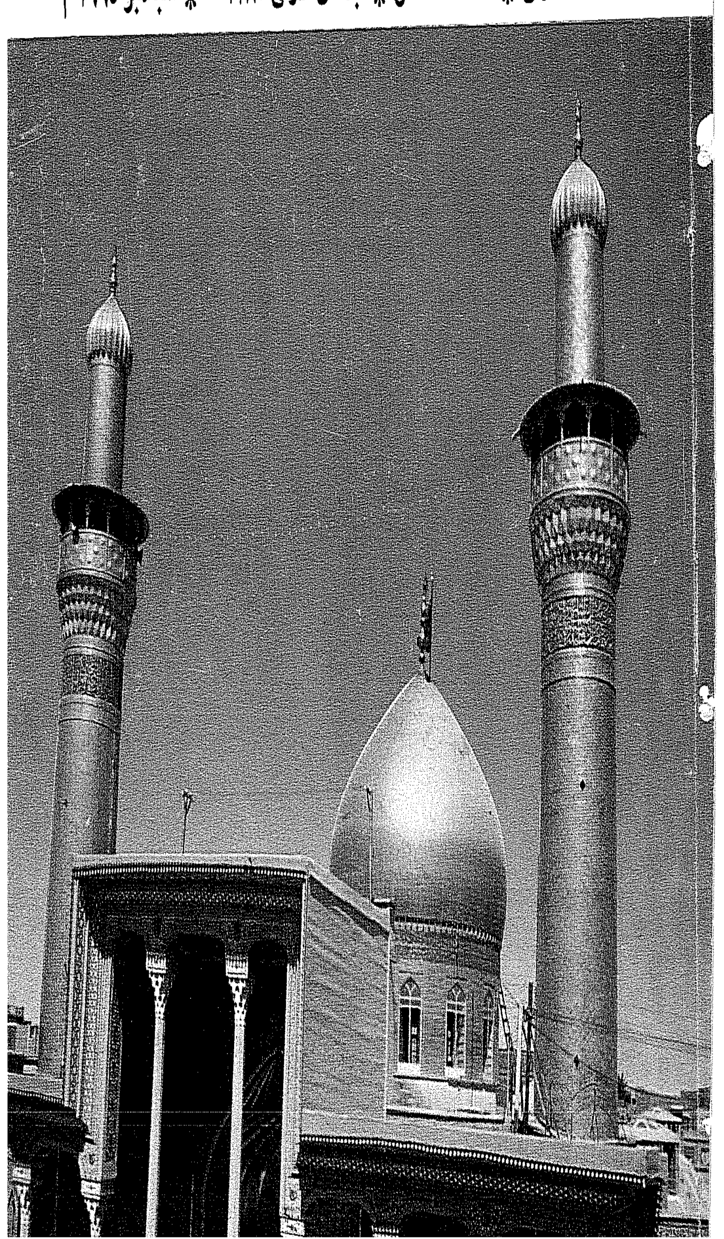
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الاولى * العدد الخامس * جمادى الأولى ١٣٨٥ هـ * سبتمبر ١٩٦٥ م



قصة العدد (بشر الحافى)



بشر الحافى يتحدث الى عامرة الجاريــة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

تصدرها وزارة الاوقاف بالكويت
فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

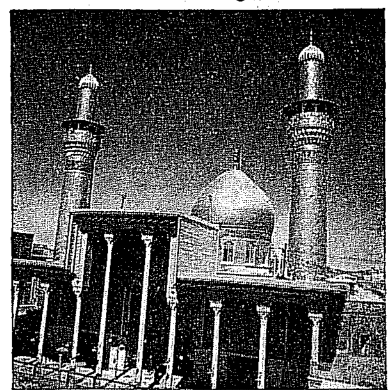
المشرف العام
عبد الرحمن المحجم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
علي عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



مسجد الامام علي ـ كرم الله وجهه ـ بالنجف الأشرف ، وتظهر فى الصورة المنارتان والقبة وهي مغطاة بطبقة من الذهب .
(تصوير مجلة العربي)

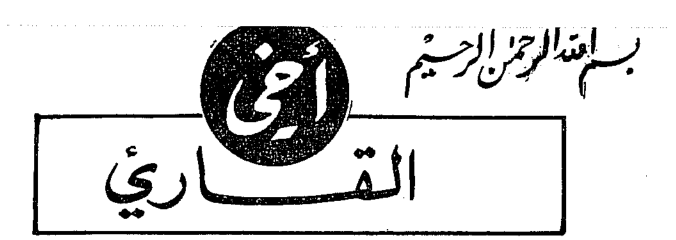
الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
المغرب	١ درهم
الخليج العربي	روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما
تونس والجزائر	١٠٠ مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات ، ٧٥٠ فلسا للافراد
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة اجرة البريد
او بالاتفاق مع الموزع مباشرة .

عنوان المراسلات : { مجلة الوعي الاسلامي ـ وزارة الاوقاف
الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٣٢٢٧



السلام عليكم

أحببت ان يكون حديثي معك هذا الشهر عن مجلتك ((الوعي الاسلامي)) بعد ان صدر منها اربعة أعداد ومضى من عمرها الطويل ان شاء الله اربعة شهور .

وحديثي معك هنا ليس حديث خيال او حديث امل ولكنه حديث حقائق جمعتها من الواقع الذى مر بنا خلال هذه الشهور الاربعة وما سبقها من شهور كنا نرسم فيها ونخطط ونعمل لاصدار العدد الاول منها ....

لقد كان فى ذهننا حينذاك ما تلقاه المجلات الاسلامية من رواج محدود لدى طبقة معينة من القراء وكانت الخبرة الطويلة التي مرت بنا فى الحقل الاسلامي والصحفي والاجتماعي تكاد تضع أيدينا على الاسباب التي تجعل هذه المجلات قليلة الرواج بالنسبة للمجلات الاخرى ..

واستعرضنا من جديد ـ هذه المجلات ـ ولم تكن غريبة عنا فأكثرها أسهمنا فى الكتابة بها ودرسنا اتجاهاتها وبحوثها واخراجها . وخرجنا من ذلك كله بحصيلة وضعناها بجانب الهدف الذى نرمى اليه من اصدار مجلة اسلامية .

لم يكن الهدف مطلقا ان يقال ان الكويت تصدر مجلة اسلامية تزيد عدد هذه المجلات ، وان وزارة الاوقاف بها تقوم بهذه المهمة ـ بل كان الهدف ان نصدر مجلة تغزو الاوساط التي لم تتعود على قراءة المجلات الدينية ـ ان نكسب نوعا جديدا من القراء ونجذبه الى الثقافة الاسلامية التي ظل بعيدا عنها او قليل الاكتراث بها ..

وكان هذا يقتضى منا ان نجعل المجلة تتفاعل مع النفوس ومشكلاتها على اختلاف مستوياتها ، وتعيش مع الناس فى أفكارهم وآمالهم ، وتعمق حبهم لدينهم ، وتصل حاضرهم الذى يبنونه بماضيهم الذى يتغنون بأمجاده ، وتتصدى للوباء الوافد عليهم من الغرب والشرق ، وتقضي على جراثيمه لتحميهم من العدوى بها ، وتنزع من الافكار بعض الصور المشوهة التي علقت بالاسلام وهي دخيلة عليه ...

ولم يغب عن ذهننا بجوار ذلك ان اسلوب العرض والاخراج له تأثير كبير على نفسية الناس فى كل شيء تعرضه عليهم .

وعلى هدى هذا كله سرنا فى اصدار المجلة ، وظهر العدد الاول منها وانتظرنا حكم القراء عليه ولم ننتظر طويلا حتى توالت علينا الرسائل وكلها تعتبر المجلة مفاجأة سارة جذبت انتباههم وانتزعت اعجابهم وتقديرهم .. وان كنا نحن من جانبنا لم نعده مطلقا كما حسبوه بل اعتبرناه خطوة على الطريق الصاعد الذى وطدنا العزم على ان نسلكه ونجتاز عقباته حتى نصل الى قمته ..

وجاءت الاعداد ـ الثاني والثالث والرابع خطوات كذلك على هذا الطريق ـ شجعنا على خطوها عزمنا على الاجادة ، وخلوص النية فى العمل ووضوح الرؤية للهدف . والتصميم الحازم على الوصول اليه .. بجانب ما سمعناه من تقدير وما وصل الينا من مئات الرسائل التي اعتبرت المجلة فتحا جديدا فى عالم المجلات الاسلامية .

ولأول مرة فى تاريخ المجلات الاسلامية بل وغير الاسلامية تنفد اعداد المجلة من القاهرة مثلا بعد اقل من ساعتين من ظهورها .

ولأول مرة تصلنا الرسائل بأنها تباع فى السوق السوداء بضعف ثمنها ، ويقابلني زميل فيشكو الي بأنه اشتراها يوم ظهورها فى القاهرة بعشرة قروش بعد أن تعب فى البحث عنها . وتنهال علينا مئات الرسائل تطلب العدد الأول منها ، وتتقدم شركة التوزيع تطلب كذلك اعادة طبعه استجابة لما تلقته من طلبات متعهديها فى الاقطار الاسلامية .

ولأول مرة فى مجلة اسلامية تضغط شركة التوزيع لزيادة المطبوع منها حتى وصل ما طلبته من العدد الرابع ضعف ما طبعناه من العدد الاول .

وحين سافرت للقاهرة وجدتها فرصة سانحة للدراسة على الطبيعة ، فممرت على اكشاك باعة الصحف بعد ساعتين من توزيعها فلم اجدها .. لقد نفدت سريعا ومن هنا ادركت السر فيما سمعته من كثيرين من أن المجلة لا تنزل للسوق ... انهم يتأخرون فى طلبها بعض الوقت فلا يجدونها .

وقابلني كثيرون وتلقيت محادثات هاتفية كثيرة وبعضها من قراء مثقفين ما كان من المعهود فيهم عنايتهم بالمجلات الاسلامية .. وكلهم يهنئون الكويت ووزارة الاوقاف على اصدار هذه المجلة ويطلبون ما صدر منها من اعداد حتى يحتفظوا باعدادها كاملة .

وكان مما اثر فى نفسي حقيقة محادثة من قارىء أعرف اسمه لأنه من كبار الموسيقيين فى الاذاعة والتلفزيون يرجو الحصول على العدد الاول .. ولم املك امام هذه الروح الجديدة الطيبة الا أن اعده به . فكان فرحه بهذا الوعد اضعاف سروري بهذا الطلب .

انها اذن الروح الاسلامية الاصيلة الظامئة للمعرفة والثقافة الاسلامية . انه الوعي الاسلامي المتفتح الذى رأى فى مجلة الوعى ضالته وصورته . انها القوة الاسلامية الكامنة فى هذا الشعب المسلم الذى يحتضن العمل الجاد المثمر ويباركه وينميه .

لقد قلت فى افتتاحية العدد الثانى « اذا كانوا يقولون ان حماس الجماهير للخطيب يلهب مشاعره فيزداد ابداعا وايقانا فان اقبال القراء على المجلة يلهب كذلك نشاط كتابها والقائمين عليها ويضاعف من جهودهم ليقدموا لك فى كل عدد من خلاصة افكارهم ما يسرك ويرضيك » .

ونحن نحمد الله على هذا التجاوب الطبيعي الذى قضى على اسطورة عدم رواج المجلات الدينية او عدم اهتمام الناس بها ، ونرى من واجب الوفاء للوعد الذى قطعناه والهدف الذى رجوناه ان نضاعف نحن وحضرات السادة الكتاب من الجهود المبذولة لتكون المجلة دائما ميدانا للبحث العلمي الجديد الهادف ، ومنارا للعاطفة الاسلامية الصادقة .. والله وحده هو الموفق والمعين .

رئيس التحرير

لفضيلة الشيخ محمد محمد المدني

الفاظ حرفت معانيها

الفاظ كثيرة حرفت عن مواضعها ، وفهمت على غير وجهها ، وما زال أهل العلم ، وأرباب الحصافة والفهم ، فى جهاد مع الناس فيها يجادلونهم عنها ، ويردونهم الى الله ورسوله فى شأنها ، ولكنها مع ذلك تجاوزت الينا القرون بعد القرون ، حتى كأن احدا من المسلمين لم يعلم علمها ، ولم يكشف عن مواطن الزيف فيها . ذلك بأن الحلف المعادى للاسلام من الجهل والكيد والفتنة واعجاب كل ذى رأى برأيه قد وقف للمسلمين بالمرصاد ، وأرجف عليهم بخيله ورجله ، وما بثه من روايات مدخولة ، وآراء مأفونة ، وما حرص عليه من بلبلة الأفكار ، وزلزلة العقول ، وافساد الحقائق بالأوهام ، فطالت المعركة بين الحق والباطل ، وتعددت ميادينها ، وكانت الحرب فيها سجالا بين المصلحين والمفسدين ، فى كل شعب ، وفى كل زمان .

* فمن ذلك لفظ « الايمان » .

ان بعض الناس يظنه ذلك الاذعان السلبي الصامت الذى لا يكلف صاحبه عملا ، ولا يبعث فى قلبه خشية ، ولا يؤثر فى خلقه تهذيبا ، ولا يدعوه الى مشاركة فى بر ، أو معاونة على اصلاح أو خير ، انما قصاراه فى نظره أن يؤدى صور العبادات المفروضة ، ويحرص على المظاهر الجوفاء ، ويتشدق بكلام أهل التقى والصلاح ، ويرائي بالغيرة أحيانا ، وبالعبرة أحيانا ، ولا يبدو الا فى زى الصالحين ، وسمت المتقين !

يظن بعض الناس أن مثل هذا الايمان مقبول عند الله ، موصل للنجاة ، وهم يتلون الكتاب ، ويعرفون ما وصف الله به عباده المؤمنين فى كثير من آياته .

فالقرآن يعرف المؤمنين مستيقنين غير مرتابين، ويعرفهم مجاهدين صابرين، ويعرفهم أصحاب رأى ، وأهل غيرة على المجتمع ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويعرفهم متحابين لم يفسد قلوبهم الغل ، ولم تفرقهم الأهواء ، ويعرفهم أقوياء بالحق « يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » ويعرفهم خاشعي القلوب، غير مستكبرين على أمر الله « اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا » ويعرفهم حراصا باقامة الصلاة على توطيد صلتهم بربهم ، وبايتاء الزكاة على تحصين كرائم أموالهم ، ويعرفهم بغير ذلك من أوصاف الخير والبر التي لا صلاح الا بها ، ولا استقامة الا عليها

« اولئك هم المؤمنون حقا » فى نظر القرآن « وأولئك هم المفلحون » .

* ومن الناس من يخطىء فى فهم « بركات الايمان » حين يقرأ مثل قوله تعالى « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض» ويظن أن الله يحابي قوما من خلقه لمجرد انتسابهم للايمان ، ويخذل فريقا من خلقه لمجرد أنهم منسوبون الى الكفر ، وقد أصيب المسلمون من جراء هذا الوهم الذى سيطر على كثير من العامة فى مختلف الشعوب ، بمصائب جمة ، حيث سهل عليهم أن يفرطوا فيما أمروا به من أخذ الأهبة ، واعداد العدة ، والتمسك بأسباب القوة ، اعتمادا على ما يسمونه « الأمل فى وجه الله » و « الثقة فى نصره للمؤمنين » ، حتى لقد حدثنا التاريخ أن شعبا من المسلمين كان يستغيث من شدة الاعداء ببركات الأولياء ، وأن قوما آخرين قابلوا صولة عدوهم الضارى ، بالاجتماع لقراءة البخارى !

هذا مع أنهم أيضا يتلون كتاب الله ، ويعلمون منه أن للنصر اسبابا وللخذلان أسباباً ، وان سنة الله فى خلقه جارية على أن يربط بين الأسباب ومسبباتها ، ولذلك أمرنا بأن نكون أقوياء لنرهب عدو الله وعدونا ، والا نتنازع فنفشل وتذهب ريحنا ، وأن نذكر الله ليذكرنا ، وننصره لينصرنا ، « اذكروني اذكركم » « وأوفوا بعهدى أوف بعهودكم » « ولينصرن الله من ينصره » .

هذه وأمثالها تعاليم القرآن ، ووصاياه التي يزجيها لأهل الايمان ، ولكن الناس مع هذا متأثرون بما زيف عليهم من أقوال ، وخيل اليهم من أوهام ، ولو كان من مقتضيات الايمان ـــ كما يزعمون أن نهزل وأعداؤنا جادون ، وأن نكتفي بالآمال الحمقاء وأعداؤنا عاملون ، وأن ننتظر خوارق السماء ونحن عما سخره الله لنا فى الأرض معرضون ، لما كان الايمان ـــ وحاشاه ـــ الا نكبة يختص بها المؤمنون .

*** ومن الكلمات التي حرفت عن مواضعها كلمه « الصبر » .**

لقد ذكر الصبر فى كتاب الله عز وجل اكثر من تسعين مرة،عرف الله فيها عباده بثمراته الطيبة وما له من عاقبة حسنة ، فى الدنيا والآخرة ، وأنه أساس من أسس الدين ، وينبوع لكثير مما سواه من الأخلاق الفاضلة ، والصفات الشريفة .

فما هو الصبر ؟

أهو الاستسلام والخضوع وقبول النكبات والمصائب قبول الترحيب والرضا ؟

أهو الركود والبلادة والاقامة على الضيم ، والاذعان للخسف ؟

كذلك تصوره الذين يحرفون الكلم عن مواضعه : وكذلك صوروه للناس ، فرضي الفقير بفقره باسم الصبر ، ورضي المريض بمرضه باسم الصبر ، ورضي الذليل بذله باسم الصبر ، ورضي المظلوم بظلمه باسم الصبر .

والشعوب وما أدراك ما الشعوب ؟ لقد أضلوها السبيل فعلموها أن جور أهل الجور قضاء وقدر ، فيجب أن يصبر عليه ، وأن ظلم أهل الظلم مظهر من مظاهر التأديب الالهي، فعليهم أن يتقبلوه بالرضا ، وأن الفقر والغنى قسمة ونصيب لا فكاك منهما ، ولا ارادة لأحد فيهما ، وهكذا أضعفوا الهمم ، وثبطوا العزائم ، وأدخلوا فى روع الناس أن الصبر واليأس مترادفان .

فهل هذا هو الصبر الذى يعرفه القرآن ؟ وهل يمكن أن يكون الله تعالى قد أراد هذا المعنى حين أمر عباده بالصبر، وأثنى عليه ، ورغب فيه ، وضمن حسن عاقبته ، وأعلن أنه يحب أهله ، وأنه سيوفيهم أجورهم بغير حساب . . الخ ؟

لا ورب البيت ! فما كان الصبر الذى يعرفه القرآن ، ويأمر به منزل القرآن ، الا خلقا عمليا ، يهدى الى الأعمال الصالحة وتقوى به النفوس المؤمنة .

ان الصبر حقا هو مجاهدة النفس وحبسها عن الضجر والتبرم ، ولكن مع اطراد العمل والسعي وعدم الانكماش والانكسار ، ولذلك كان الصبر هو المعنى الباطن فى كثير من الأخلاق العلمية ، والصفات الايجابية وان عبر عنها بأسماء أخرى .

فالشجاعة هي الصبر على مكاره الجهاد .

والجود هو الصبر على بذل المال والمعروف .

والكتمان هو الصبر على المثيرات والمحفظات .. وهكذا .

ان الانسان بالصبر يكون شبيها بالآلة القوية المتينة الصنع ، الأصيلة فى مادتها وتركيبها ، اذا اعتراها خلل لم تسارع بالوقوف والتعطل ، ولكنها تقاوم بقوتها ، وتستمر فى عملها ، وتحتمل .

أما تلك الآلة الضعيفة الخفيفة الضئيلة الرخيصة التي تتعطل لأوهى الأسباب ، وتقف عند أول احتكاك فما أشد تفاهتها ، وما أشبهها بذلك الانسان الذى لا يعمل ، ولا يثمر الا اذا كانت الحياة على ما يحب من الاستقامة والاطراد ، وهيهات أن تستقيم الحياة أو تطرد على ما يحب الناس ولو كانوا من الأنبياء المرسلين ، أو من الأتقياء الصالحين .

وقد قص الله علينا قصة داود وجالوت حين احتربا ، وكان « جالوت » على الباطل و « داود » على الحق ، فلما رأى اصحاب داود ما عليه جالوت وأصحابه من القوة والكثرة ، وقال قائل منهم « لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » قال الذين يظنون انهم ملاقو الله وهم الصابرون على أمر الله الماضون لما ندبهم اليه « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله والله مع الصابرين » .

لم تهلهم الكثرة الساحقة ، ولم تذهلهم القوة التي تبدو ماحقة ، ولم يتعللوا بعدم التكافؤ فيعودوا من حيث أتوا ، ناكصين على أعقابهم ، ملتوين عن قصدهم ، ولكنهم مضوا فى طريقهم عالمين أن القوة انما هي قوة الأرواح لا قوة الأشباح ، وأن القلة المتماسكة ، خير من الكثرة المتفككة ، وأن الله مع الصابرين ، وبذلك انبعثوا ،فلم يكن صبرهم رضوخا ولا استسلاما ، وانما كان شجاعة واقداما «ولما برزوا لجالوت وجنوده» لم يغتروا ، ولم ينسوا ربهم ، ولم يغفلوا عن تقوية انفسهم بدعائه ، والاعتماد على قوته ومعونته ، والتوثق بنصره وتأييده ولكن « قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك والحكمة » وكذلك يجزى الله الصابرين .

هذا هو حظ الايمان والصبر من تحريف المحرفين ، ولا نكاد نعرف لفظا من الألفاظ الاسلامية التي أرادها الله للناس خيرا ورشادا واصلاحا ، الا وقد أصابه مثل هذا التحريف : التقوى ، التوكل ، الزهد ، الصلاح ، القضاء ، القدر ، بركات الطاعة ، شؤم المعصية ، التعبد بتلاوة القرآن ، الاستشفاء بآيات القرآن ، الرقي ، التعاويذ ، الاستخارة ، التوسل ، التبرك بالأولياء .. الخ .

كل هذه ألفاظ ذات حقائق فى الشريعة تتفق وما جاءت به من عقائد صحيحة ، وأحكام راشدة ، ولكن الناس حرفوها عن مواضعها ، ولعلي أوفق ان شاء الله الى تحريرها فى الحين بعد الحين ، وبيان الحق فيها بيانا يشفي صدور المؤمنين ، وبالله التوفيق ، ،

لفضيلة الشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد

العلم والعلماء

محمد موفق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(طلب العلم فريضة على كل مسلم) * .

١ : ـ العلم النافع هو أفضل مطالب العقلاء ، وأجل ما يقصد فى هذه الحياة ، اذ هو غاية الغايات لحاملي مشاعل النور الذين يضيئون بجهادهم مسالك الدنيا ، ويطهرون دروبها مما يعوق السير فيها الى الأهداف الكريمة والغايات النبيلة التي تخدم الانسانية ، وتمضي بها قدما الى السمو والكمال .

وطلب العلم فى الاسلام ليس نافلة ولا امرا كماليا ، بل هو فرض وضرورة ، ضرورة الغذاء والشراب والهواء ، ولهذا نرى الرسول الكريم يصرح بذلك تصريحا لا مجال فيه للتأويل فيقول صلوات الله عليه : طلب العلم فريضة على كل مسلم .

٢ : ـ وللعلم رجال أفنوا أعمارهم فى طلبه ، واقتحموا المصاعب فى سبيله ، ودافعوا كل العوائق سعيا وراء تحصيله، جابوا كل فج ، وخاضوا كل لج ، أولئك نخبة من البشر ايقنوا أن للعمر حدا لا يعدوه، وللأجل نهاية يقف عندها، فاغتنموا كل فرصة ، واستغلوا كل لحظة منذ أن عقلوا ، ولم يثنهم عن مقاصدهم الحميدة معوق مهما عظم ، .. بذلوا النفس والنفيس حتى أربوا على المقصد ، وضربوا أروع المثل للجهاد العلمي الخالص من علائق المنافع الشخصية التافهة ، فذوت أجسادهم وذبلت ، فى الوقت الذى قويت فيه عقولهم واستقامت ، فعظمت آثارهم وخلدت .

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الأجسام

٣ : ـ وقد فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم العالم على العابد ، فعن أبي أمامة الباهلي، قال : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم » ثم قال صلى الله عليه وسلم « ان الله وملائكته واهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت

* وزاد شراح الحديث « ومسلمة » وهي داخلة فى الخطاب دون حاجة الى النص كما هو الشأن كثيرا فى الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة .

ليصلون على معلم الناس الخير » وفى حديث رواه الامام احمد والترمذى وأبو داود وابن ماجـه والدارمى ، يقول رسول الله صلى الله عليـه وسلم « .. وان العلماء ورثة الأنبياء ، وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وانما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » ومـن حديث رواه الامام مسلم فى صحيحه « .. ومن سلك طريقـا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ».

٤ : ـ وقد وعى التاريخ أسماء كريمة لفحول العلمـاء ذوى الهمم القعسـاء فى الدرس والتحصيل ، ومن هؤلاء الذيـن ارغموه على أن يفتح لهم أوسع أبـوابه ليلجوا خالدين ما دامت السموات والأرض تتناقـل الأعصر أخبارهـم وتتدارس الرجال آثارهم . أئمة الفقه والتشريـع فى الاسلام(١) الذين دونت ثمار عقولهم فى مجلدات ومجلدات ، وعاش على فتات موائدهم العلميـة ألوف وألـوف ممن جاءوا فى الأعصر التالية لعصورهم .

وفى مجال الحديث الشريف الحافظ ابن أبي حاتم ، فقد قدم القاهرة ليتلقى عن شيوخها ما عز عليه تحصيله فى مسقط رأسه فمكث فيها عشرة أشـهر كاملـة لم يجد خلالها وقتا يهيىء فيه لنفسـه طعاما خاصا ، وكان يطوف نهـاره على وعاة ما حضر من أجله ، ويسطر ليلـه ما حصل من علومهم . وقد رحل أبـو أيوب الأنصارى من المدينة المنـورة الى عقبة بن نافع فى مصر ليروى عنه حديثـا واحدا ، ولما قدم مصر ترجل عن راحلته ولم يفك رحلها فسمع الحديث وقفـل راجعا الى المدينة ، وكـان سـعيد بن المسيب يسير الأيـام والليالي الطـوال فى طلب الحديث ، وكذلك كان يفعـل الامام البخارى .

٥ : ـ وروى عن الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا فى تاريخه الذى أملاه بنفسه أنه لم ينم عن مذاكرة العلم ليلـة كاملة منذ عقل ، ولم يملأ نهاره بسوى تدوين ما درس ، وكان يقول « لازمت العلم ، وكنت كلما أتحير فى مسألة أتـردد على الجامع وأصلي ، وأبتهل الى مبدع الكون حتى ينفتح لي المنغلق ويتيسر المتعسر ، وأرجع بالليل الى دارى وأضـع السراج بين يدى ، وأشتغل بالقراءة والكتابة ، واذا أخذني النوم أحلم بالمسائل بعينها حتى ان كثيرا منها اتضحت لي وجوهـه في المنام ، ولم أزل كذلك حتى استحكمت لي جميع العلوم ووقفت عليها بحسب الامكان البشرى » .....

وأما العالم ابن رشد فلم يترك النظر والقراءة منذ شب عن الطوق الا ليلـة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله !! .

٦ : ـ ولم يقتصر طـلاب العلـم على البحث عنه فى مواطن نشأتهم بل استقلوا ظهور المطايا وضربوا آباط الابل الى مظان وجود شيوخه الاعلام ، وما عم العلم ولا انتشر فى ربوع العالم الاسلامي فى عهوده الزاهرة الا برجال كبرت هممهم فى طلبه فساحوا فى بلاده ، ولاقوا العناء فى رحلاتهم القاسية الشاقة المضنية فى دروب غـير ممهدة وعلى ظهور دواب بطيئة السير ، ومن هؤلاء الأفذاذ أولي القوة والأيـد أسد بن الفرات وأبو الوليد الباجي وأبو بكر بن العربي وابـن خلدون وياقـوت الحموى وغيرهم كثيرون .

٧ : ـ وطالمـا سـعد هؤلاء وأثلجت صدورهم واطمأنت قلوبهم حـين تغلبوا على معضلة علمية ، وكلما ارتقوا درجـة فى سلم المعرفة الانسانية ومنهم القائل :

سهري لتنقيح العلوم ألـذ لي
من وصل غانية وطيب عنـاق

وأين وصل الغـواني وطيب العنـاق الذى تتخلـف عنـه الحسرات والآلام وتتجرع النفس بعـده غصص الفـراق

البقية على ص ٢٣

(١) منهم الامام جعفر الصادق وابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد رضي الله عنهم جميعا .

موقف



أخذ كثير من باحثي الفرنجة على الاسلام أنه أباح الرق ، وأنه بذلك قد أهدر آدمية طائفة من بني الانسان ، وجردهم من جميع مظاهر الحرية المدنية ، فليس للرقيق أهلية فى مباشرة العقود ، ولا تحمل الالتزامات ، وليس له الحق فى التملك ، بل ان القانون لينظر أليه هو نفسه على أنه ملك لغيره بالمعنى الحقيقي الكامل لكلمة الملك .

وردنا على هؤلاء يتلخص فى ثلاث نقاط : أولاها أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تكتنف العالم فى العصر الذى ظهر فيه الاسلام كانت تحتم على كل شارع حكيم أن يقر الرق فى صورة ما ، وتجعل كل محاولة لالغائه الغاء سريعا مرة واحدة أمرا مقضيا عليه بالفشل والاخفاق .

والثانية أن الاسلام لم يقر الرق الا فى صورة تؤدى هي نفسها الى القضاء عليه بالتدريج .

والثالثة أن الشريعة الاسلامية لم تهدر آدمية الرقيق ، ولم تجرده من جميع الحقوق المدنية كما فعلت الشرائع الأخرى السابقة لها ، بل اعترفت بانسانيته ، وأبقت على كثير من حقوقه .

١ : ـ فقد ظهر الاسلام فى عصر كان نظام الرق فيه دعامة ترتكز عليها جميع نواحي الحياة الاقتصادية ، وتعتمد عليها جميع فروع الانتاج فى معظم شعوب العالم . فلم يكن من الاصلاح الاجتماعي فى شيء أن يحاول مشرع تحريمه تحريما باتا مرة واحدة ، لأن محاولة كهذه كان من شأنها أن تعرض أوامر المشرع للمخالفة والامتهان . واذا أتيح لهذا المشرع من وسائل القوة والقهر ما يكفل به ارغام العالم على تنفيذ ما أمر به فانه بذلك يعرض الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهزة عنيفة ، ويؤدى تشريعه الى أضرار بالغة لا تقل فى سوء مغبتها عما تتعرض له حياتنا الحاضرة اذا ألغي بشكل فجائي نظام البنوك ، أو حظر استخدام العمال ، وقضى على كل مالك أن يعمل بيده ، أو استخدام السكك الحديدية . أو استخدام البخار . فالرقيق كان بخار الآلة الاقتصادية فى تلك العصور .

٢ : ـ لذلك أقر الاسلام الرق ، ولكنه اقره فى صورة تؤدى هي نفسها الى القضاء عليه بالتدريج بدون أن يحدث ذلك أى أثر سيىء فى نظام المجتمع الانساني ، بل بدون أن يشعر أحد بتغير فى مجرى الحياة . والوسيلة التي ارتضاها للوصول الى هذه الغاية من أحكم الوسائل وأبلغها أثرا وأصدقها نتيجة . وهي تتلخص فى العمل على تضييق الروافد التي كانت تمد الرق ، وتغذيه ، وتكفل بقاءه ، وفى توسيع المنافذ التي

بقلم الأستاذ الدكتور
علي عبد الواحد وافي

من نظام الرق

تؤدى الى العتق والتحرير . وبذلك أصبح الرق أشبه شيء بجدول كثرت مصباته ، وانقطعت عنه موارده التي يستمد منها الماء . وخليق بجدول هذا شأنه أن يكون مصيره الى الجفاف . وبذلك كفل الاسلام القضاء على الرق فى صورة سلمية هادئة ، وأتاح للعالم فترة للانتقال يتخلص فيها شيئا فشيئا من هذا النظام .

٣ : ــ وفى انتظار جفاف هذا الجدول لم يترك الاسلام الرقيق تحت رحمة القوانين القاسية التي كان يسير عليها نظامه ، والتي كانت تهدر آدميته ، بل استبدل بهذه القوانين قوانين أخرى تفيض بالعطف عليه ، وتحترم انسانيته ، وتمنحه كثيرا من الحقوق المدنية نفسها .

هذا هو مجمل موقف الاسلام من الرق . وسنبين فيما يلي كل ناحية من نواحي هذا الموقف بشيء من التفصيل .

مصادر الرق فى الجاهلية

أولا : ــ موقف الاسلام حيال روافد الرق . كانت روافد الرق فى العصر الذى ظهر فيه الاسلام كثيرة متنوعة يرجع أهمها الى سبعة روافد . أحدها الحرب بجميع أنواعها ، فكان الأسير فى حرب خارجية أو أهلية لا يخرج مصيره عن القتل أو الاسترقاق .

وثانيها : ــ القرصنة والخطف والسبي ، فكان ضحايا هذه الاعتداءات يعاملون معاملة أسرى الحرب فيضرب عليهم الرق ، ويباعون بيع الرقيق .

وثالثها : ــ ارتكاب بعض الجرائم الخطيرة كالقتل والزنا والسرقة ، فكان يحكم على مرتكبها بالرق لمصلحة الدولة أو لمصلحة المجني عليهم أو أسراتهم .

ورابعها : ــ عجز المدين عن دفع دينه ، فكان يحكم عليه بالرق لمصلحة دائنه .

وخامسها : ــ سلطة الوالد على أولاده فكان يباح له فى حالة عوزه وعسرته أن يبيعهم بيع الرقيق .

وسادسها : ــ سلطة الشخص على نفسه ، فكان يباح للمعوز أن يتنازل عن حريته ويبيع نفسه لقاء ثمن يفرج به أزمته .

وسابعها : ــ تناسل الرقيق ، فكان ولد الجارية ذكرا كان أم انثى يولد رقيقا ولو كان أبوه حرا ، ولو كان أبوه السيد نفسه .

وكانت هذه الروافد تقذف كل يوم فى تيار الرق بآلاف مؤلفة من الأنفس حتى ان عدد الأرقاء كان يزيد فى كثير من الأمم زيادة كبيرة على عدد الأحرار .

الاسلام يضيق مجال الرق

جاء الاسلام وروافد الرق على هذه الكثرة والغزارة والقوة ، فحرمها جميعا ما عدا رافدين اثنين وهما . رق الوراثة وهو الذى يفرض على من تلده الأمة ، ورق الحرب وهو الذى يفرض على الأسرى . وعمد الى هذين الرافدين نفسيهما فقيدهما بقيود تكفل نضوب معينهما بعد أمد غير طويل .

فمن أهم القيود التي قيد بها رق الوراثة أنه استثنى منه أولاد الجوارى من أسيادهن . فقرر أن من تأتي به الجارية من سيدها يولد حرا ، ويلتحق نسبه بالسيد . واذا لاحظنا أن الغالب فى أولاد الجوارى أن يكونوا من مواليهن أنفسهم ، لأن الأغنياء ما كانوا يقتنون الجوارى الا لمتعتهم الخاصة ، تبين لنا أن هذا القيد الذى قيد به الاسلام رق الوراثة ، وانفرد به من بين جميع الشرائع السابقة له ، كفيل بالعمل على جفاف هذا الرافد نفسه ونضوب معينه بعد أمد غير طويل .

ومن أهم القيود التي قيد بها الرافد الثاني وهو رق الحرب أنه استثنى منه الذين يؤسرون فى حرب بين طائفتين من المسلمين ، فقرر أن هؤلاء لا يجوز أن يضرب عليهم الرق سواء أكانوا من الطائفة الباغية أم من الطائفة الأخرى . أما الحروب التي تنشب بين المسلمين وغيرهم فانها لا يمكن أن تؤدى الى استرقاق من يؤسرون فيها بحسب قواعد الاسلام الا بشروط كثيرة من أهمها أن تكون الحرب شرعية أى يجيزها الاسلام وتنفذ وفق قوانينه ويعلنها خليفة المسلمين . وحتى مع توافر هذه الشروط فان الاسلام لا يجعل الرق نتيجة لازمة للأسر ، بل يبيح للامام أن يمن على الاسرى بدون مقابل ، أو يطلق سراحهم فى نظير فدية . بل ان القرآن قد تحاشى أن يذكر الرق من بين الأمور التي يباح للامام أن يعامل بها الأسرى ، واقتصر على ذكر المن والفداء ، فقال تعالى « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » . وفعل الرسول عليه السلام فى غزواته يدل على أنه كان يؤثر المن أو الفداء على الاسترقاق .

ومن هذا يظهر أن الاسلام قد سلك حيال رق الحرب المسلك نفسه الذى سلكه حيال رق الوراثة . فقد قيده بقيود تكفل القضاء عليه . فهو لم يجعله نتيجة لازمة للحرب ، بل جعله مسلكا من المسالك التي يصح أن يتخذها الامام . ولم يرغب فيه ، بل رغب فى غيره وفضله عليه . هذا الى أنه لم يجز الالتجاء اليه الا بشروط لا تكاد تتوافر الا فى الحروب التي اضطر اليها الاسلام فى مبدأ ظهوره . أما بعد استقراره وتنظيم العلاقات بين أممه والأمم الأخرى فيندر أن تتوافر هذه الشروط ــ ومعنى هذا أن الاسلام لم يبح هذا النوع من الرق الا لأجل معلوم .

هذا ما فعله الاسلام حيال روافد الرق ــ قضى عليها جميعا ما عدا رافدين اثنين ، وقيد هذين الرافدين بقيود تكفل نضوب معينهما بعد أمد غير طويل .

الاسلام يفتح ابواب الحرية

ثانيا : ــ كانت منافذ العتق قبل الاسلام ضيقة كل الضيق ، فلم تكن له الا سبيل واحدة ، وهي رغبة المولى فى تحرير عبده . فبدون هذه الرغبة كان مقضيا على الرق أن يظل هو وذريته راسفين فى أغلال العبودية أبد الآبدين . هذا الى أن معظم الشرائع كانت تحظر على السيد أن يعتق عبده الا فى حالات خاصة وبشروط قاسية وبعد اجراءات قضائية وطقوس دينية مفقدة كل التعقيد . وبعضها كان يفرض على السيد ، فضلا عن هذا كله ، غرامة مالية كبيرة يدفعها للدولة ، لأن العتق كان يعد تضييعا لحق من حقوقها .

جاء الإسلام وهذه حال العتق فى ضيق منافذه وقسوة شروطه . فحطم كل هذه

القيود ، وفتح للرقيق أبواب الحرية على مصاريعها ، وأتاح لتحريرهم آلافا من الفرص ، وتلمس للعتق من الأسباب ما يكفى بعضه للقضاء على نظام الرق نفسه بعد أمد غير طويل .

فجعل الاسلام من أسباب العتق أن يجرى على لسان السيد ، فى أية صورة لفظ يدل صراحة على عتق عبده ، حتى لو كان مكرها أو هازلا أو غير قاصد له أو فاقدا لرشده بفعل الخمر وما اليها من المحرمات فى رأى كثير من فقهاء الاسلام . ومن هذا يظهر أن الاسلام يتلمس أوهى الأسباب لتحرير الرقيق .

ومن أسباب العتق فى الاسلام كذلك أن يجرى على لسان السيد فى أية صورة لفظ يفيد « التدبير » أى يدل على الوصية بتحرير العبد بعد موت سيده . فبمجرد أن تصدر من السيد عبارة تفيد هذا المعنى تصبح الحرية مكفولة للعبد بعد وفاة سيده .

ومن أسباب العتق فى الاسلام كذلك أن يأتي السيد من جاريته بولد . ففي هذه الحالة يعتبر الولد حرا من يوم ولادته ويلتحق نسبه بالسيد كما تقدم بيان ذلك ، وتصبح الأم نفسها مستحقة للحرية بعد وفاة سيدها .

ومن أسباب العتق فى الاسلام كذلك أن يكاتب السيد عبده أى يتفق معه على أن يعتقه اذا دفع له مبلغا من المال . وقد ذلل الاسلام لهذا النوع من العبيد وسائل الحصول على المال فى صورة تدل أوضح دلالة على شدة حرصه على الحرية . فأباح لهم أن يتصرفوا تصرف الأحرار ، فيبيعوا ويشتروا ويتاجروا ويعقدوا العقود ويتملكوا العقار والمنقول، حتى يستطيعوا أن يجمعوا المبالغ التي كوتبوا عليها فتتحرر رقابهم . وحث جميع المسلمين على مساعدتهم ، فقال تعالى « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ويدل ظاهر القرآن فى هذه الآية على أنه لا يصح للسيد أن يمتنع عن قبول المكاتبة متى أبدى العبد رغبته فى تحرير نفسه لقاء مبلغ يدفعه . وقد سأل ابن جريج عطاء بن أبي رباح فقال « أواجب علي اذا طلب مني مملوكي الكتابة أناكاتبه ؟ » فأجابه بقوله « ماأراه الا واجبا » واستدل بالآية الكريمة السابقة .

وفضلا عن هذا كله ، فقد عمد الاسلام الى طائفة كبيرة من الجرائم والأخطاء التي يكثر حدوثها وجعل كفارتها تحرير الرقيق . فبينما كانت الجرائم فى الشرائع السابقة للاسلام تؤدى الى استرقاق الأحرار اذا بها تصبح فى شريعة الاسلام مؤدية الى تحرير العبيد . فجعل الاسلام تحرير الرقيق تكفيرا للقتل الناشيء عن خطأ وما فى حكمه ، وللحنث فى اليمين ، وللافطار العمد فى رمضان بدون عذر ، ولمراجعة المرأة اذا أوقع عليها زوجها ظهارا بأن قال لها أنت علي كظهر أمي أو عبارة من هذا القبيل ، على ما هو مبين فى مؤلفات الفقه الاسلامي وما ورد بصدد ذلك فى القرآن الكريم(١) .

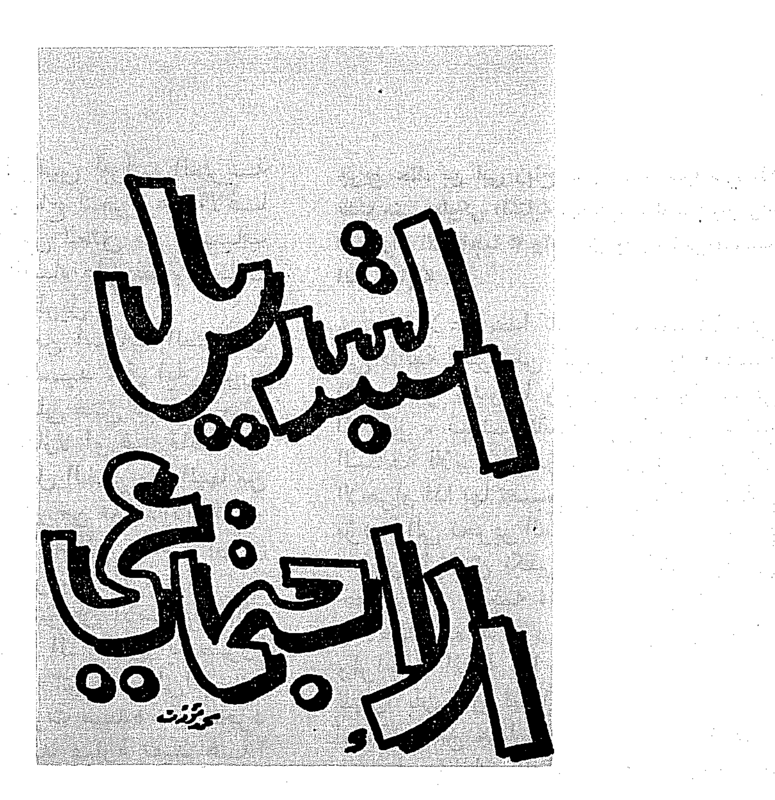
وبجانب هذا كله حبب الاسلام الى الناس تحرير الرقيق وجعله قربة يتقرب بها المؤمن الى الله تعالى ، حتى ان الرسول عليه السلام ليضرب به المثل فى جلال العمل وعظم الأجر ، فيقول « من فعل كذا فكأنما أعتق رقبة » أو « يكون ثوابه عند الله ثواب من أعتق رقبة » .

دور الدولة فى تحرير الرقيق

ولم يكتف الاسلام بهذا كله ، بل خصص كذلك سهما من مال الزكاة ، أي جزءا من ميزانية الدولة الاسلامية ، للانفاق على تحرير العبيد وتخليصهم من الرق ومساعدة من يحتاج منهم الى مساعدة فى سبيل تحريره كالمكاتبين ومن اليهم ، فقال تعالى « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب » أى فى فك

البقية على ص ٣٤

(١) انظر مثلا آية ٩٢ من سورة النساء ، وآية ٨٩ من سورة المائدة ، وآية ٣ من سورة المجادلة .



بقلم الاستاذ محمد الحسناوى

المجتمع الاسلامي هو التجسيد المادى للاسلام فى الصحة والاعتدال . ولما كان الاسلام مثلا أعلى فى الكمال والصحة ، ولما كانت الشبهات التي تثار حول الاسلام ، والحملات التي تجيش ضده ، وانحسار ظله الحقيقي عن ثغوره ، والحيف الذى حاق به عبر التاريخ .. انما يرجع اكثر ذلك الى المسلمين أنفسهم ، الى الذين هانت نفوسهم ، وانشقت عصاهم بجهلهم لدينهم ، وانصرافهم عنه ، وجمودهم على رسوم جوف لا تغني ولا تسمن من جوع ، ولا تدفع ظلما ولا تبني مجدا ، فضلا عن أن تقيم حضارة جديدة ، وتسعد انسانية ، ولما كان اهتمام الدعاة الأكبر الى يومنا هذا منصرفا الى عرض الاسلام روحا وفكرا وتشريعا وتاريخا .. لهذا كله ـ وجب الالتفات الى المجتمع الاسلامي الحديث ، لتيسير تطبيق الاسلام وبناء مجتمعه الأمثل على أسس راسخة وتخطيط واع .

ميزة الحركات الاسلامية

وهذا لا يعني أن المسلمين ، بما فيهم العاملون ، قد غفلوا عن المجتمع تماما ، بل ان الميزة الأولى للحركات الاسلامية فى عصر النهضة هذا .. هو ذلك الاحتفال المتعاظم بالاصلاح الاجتماعي ، والاهتمام الواضح بأحوال المسلمين فى شرق الأرض وغربها ، لكنه اهتمام الجريح بالجريح تأسيا وتسلية ، لا اهتمام المغيث بالمستغيث على الأغلب ،

لاعتبارات كثيرة (١) . ومن نافلة القول أن نشير الى أن الاستعمار ودوائر استخباراته وحركات التبشير على وعي تام ومعرفة كاملة بالمجتمع الاسلامي واتجاهاته وظروفه وثغراته ، وعلى أساس من هذا الوعي والمعرفة يتلاعب الاستعمار والتبشير والصهيونية بمجتمعاتنا ومقدراتنا واتجاهاتنا ايما تلاعب(٢) . فلا أقل من أن نعرف أنفسنا بقدر معرفة أعدائنا بنا .

طريق الاصلاح

أما دراسة المجتمع الاسلامي لاصلاحه ، فليست بالأمر السهل ، ولكن الذى يسهل الدراسة شق الطريق واقامة الصوى والسير الحثيث المستقيم . وأول مرحلة موضوعية من مراحل الدراسة التعرف على الشيء المدروس تعرفا أوليا واضح المعالم والأبعاد ، وحسبنا ما عانى العاملون من الخوض فى المجتمع على غير هدى كالخابط فى الظلام أو الحارث فى البحر ، وهل وعظ بعض الوعاظ وخطب نفر من الخطباء الا من هذا القبيل ؟

ان احدنا اذا دعي الى قيادة سيارة ، ولم يكن قد مارس قيادتها من قبل ، يجد نفسه بحاجة الى معرفة أجزائها وأجهزتها وأساليب توجيهها ، ان لم نقل بحاجة الى دورة تدريبية عليها . هذا اذا كانت السيارة سليمة صالحة للسير ، فهل يعرف الداعية المسلم مجتمعه مثل هذه المعرفة ، وهل مر بدورة تدريبية على فن الدعوة والاصلاح والتربية ، مع العلم أن السيارة آلة جامدة لا تعصي قائدها ما أمرها ، على حين أن تكوين الانسان الفرد أكثر تعقيدا وأشد مراسا ، فكيف بالمجتمع الذى هو مجموعة أفراد ومجموعة صلات متشابكة تزداد صعوبة وتعقدا فى أحوال الضعف والانحلال .

وان هناك نفرا من الناس ــ صالحين أو طالحين ــ قادرون على التأثير البعيد فى المجتمع ، كاللاعبين المهرة فى لعبة الشطرنج . وما مخطط الشطرنج الا مثل مبسط لمخطط المجتمع . فتبديل حجر بحجر قد يعني الفوز الباهر ، كما يعني الخسارة الفادحة ، وعلى قدر احاطة اللاعب بدور كل حجر وبموضعه وعلاقته بغيره سلبا وايجابا فى الحاضر والمستقبل .. تتحدد النتيجة . وكما أن المهارة فى فن من الفنون كلعب الشطرنج ترجع الى واحد من اثنين ــ الموهبة أو الخبرة المكتسبة ، ومثل ذلك التبديل الاجتماعي . لكنما مصير المجتمع لا يعلق ، ولا يجوز أن يعلق بظهور الموهوبين ، لأن خسارة شوط الشطرنج ليست كخسارة مجتمع بأسره . فالحريص على الفوز فى لعبة الشطرنج ازاء منافس ماهر .. تراه يستعين بالأنصار والمشيرين فاذا الكثرة تغلب الشجاعة كما يقال . فلنتعرف على مجتمعنا ، ولنتبين سبلنا خلال شعابه ومفازاته .

عناصر المجتمع

ان المجتمع أى مجتمع كل يتألف من أجزاء ومن مجموعة علاقات وصلات متراكبة متشابكة تخضع لقوانين معتبرة على الرغم من صعوبة التقنين والتأويل

---

(١) انظر (الاسلام فى القرن العشرين) لعباس محمود العقاد . و (واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم) لأبي الأعلى المودودى . و (حاضر العالم الاسلامي) لشكيب ارسلان ولوثروب ستودارد . و (المسلمون فى الهند) لأبي الحسن الندوى .

(٢) انظر كتاب (التبشير والاستعمار) لفروخ والخالدى . و (الاستعمار الفرنسي فى افريقيا السوداء) لفيليب فونداسي .

فى العلوم الانسانية (وتتلخص هذه العلاقات فى تفاعل فرد مع آخر أو مع الجماعة أو مع الثقافة القائمة ، وهو مؤثر فيها أو متأثر بها . هذا وتمتد هذه العلاقة الى تبيان أثر الجماعة فى جماعة أخرى ومدى تأثرها بها) (١) .

ولكي نتجاوز النظرة الكلية الى المجتمع خشية أن نصدم بشكل عام مبهم تنطبع عليه أوهامنا وتصوراتنا الخاصة المسبقة انطباع الناظرين الى بطاقات (رورشاخ) (٢) فنقع فيما وقع فيه نفر من المسلمين فتفاءلوا كثيرا ، أو تشاءموا فيئسوا فماتوا غيظا أو انقلبوا على الأعقاب .. علينا أن ننظر نظرات تحليلية احصائية موضوعية متفحصة ، ولنطبق منجزات علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي على مجتمعاتنا العربية والاسلامية ، فاذا مجتمعنا يتألف من فرد وأسرة وحي وقرية ومدينة وقطر ، كما يتألف من مؤسسات عامة وخاصة مثل مؤسسات التعليم والارشاد والاعلام والنقابات والنوادى والطوائف الدينية والعنصرية والقطاعات المدنية والعسكرية وما الى ذلك . واذا تركيب كل من هذه الأجزاء والمجموعات يختلف من واحدة لأخرى بحسب البيئة والثقافة والسلوك، فمنها البسيط والمعقد ، ومنها الوارد والشارد ، ومنها الصحيح والعليل ، واذا بنا نقف على تناقضات وعوالم طريفة كلما ازددنا بحثا وتمحيصا ، مع العلم أن غايتنا أبعد من غاية العالم الاجتماعي الذى يكتفي بالوصف والاحصاء والتقرير فنحن نمضي معه حيثما يمضي تمهيدا لوضع الحلول وتأليف تركيبات اجتماعية أصلح وأفضل بعد الافادة من معطيات المجتمع الواقعية وقوانين الاجتماع المضطردة .

وفى طريقنا سنصادف أنماطا شتى من السالكين اللابسين لباس الاصلاح عن حسن نية أو سوء طوية ، فالانقلابيون يعششون فى الجيش ، والانتهازيون يتهافتون على أبواب الحكام أو على أعمدة الصحافة وأجهزة الاعلام ، على حين يربض الاحتكاريون فى ميادين الاقتصاد ، والماركسيون فى الاحياء العمالية وأكواخ الفقراء ، فأين ميدان دعاة الاسلام بالضبط ؟

منهج الدعاة

الحق أن الاسلام رسالة عامة شاملة لا تنحصر بزمان أو مكان ولا بجنس أو فئة أو طبقة ، وواجب دعاته ايضاح ذلك ، وميدانهم هو المجتمع بأسره . المجتمع العربي والاسلامي أولا ، والمجتمع الانساني الكبير ثانيا . وهذه مهمة شاقة لا ينهض بها الا الرجال أولو العزم والقوة البريئون من الأغراض والمطامع ،الواهبون نفوسهم لله . فاذا كان المجتمع كله ميدانا للدعاة فهل يعني ذلك أن يعملوا على قلة العدد والعدة فى الجبهات جميعا ؟ أو يعني أن يختاروا بعض الميادين دون غيرها ، أو بعض الأساليب دون سواها ؟ والجواب على هذا السؤال يختلف من وطن الى وطن ، ويتأثر بامكانيات الدعاة من جهة وبظروف البيئة نفسها من جهة ثانية ، حتى اذا كانت البيئة متقلبة لا سيما من الناحية السياسية لزم تلاؤم العمل الاسلامي وكل ظرف جديد لا تلاؤم التبعية ولا تلاؤم الانتحار ، بل تلاؤم الذكي الذى يشق دروبه الوعرة بوعي وأناة ، فاذا انسد بعضها انطلق فى بعضها الآخر . يتيسر هذا التكيف الحي بسرعة للعاملين اذا كانوا على معرفة مسبقة بالعناصر التي يتركب منها

---

(١) من كتاب (علم النفس الاجتماعي) لفؤاد البهي السيد ـ ص ٧٧ . وانظر (علم النفس الاجتماعي) لأوتوكلينبرغ ترجمة الجمالي .

(٢) وهي بطاقات عليها بقع من (الحبر) غير محددة الاشكال يفسرها الناظر فيها تفسيرا معبرا عن نفسيته بشكل عفوى ، وقد يختلف تفسيره قليلا أو كثيرا عن ناظر آخر ، مما يخدم التحليل النفسي .

المجتمع وباحتمالات تبدلها عاجلا أم آجلا . وعلى الرغم من ذلك تضطرد أمور عامة ثابتة ، يحسن أن يفطن اليها الدعاة على اختلاف الأوطان منها ما يلي : —

١ : — ليذكروا أن عليهم اختيار ميادين اكثر جدوى وأبعد أثرا وأكثر ملاءمة لدعوتهم ، وبالمقابل ألا يغفلوا عن الميادين الأخرى التي يغزوها عدو خطير ، وليكن دور الاسلام فيها على الأقل دور الدفاع .

٢ : — المجتمع الاسلامي قد ابتعد عن الاسلام ببطء ، ولن يعود اليه بسرعة أو بطفرة أو بقسر أو بمغامرة ، بل بالتربية والاقناع ، سيما وأن الجيل المتقدم الذى نشأ على أصل معوج يصعب تقويمه ، وهذه المقدمات تسلمنا الى الاهتمام البالغ بالجيل الجديد الناشىء وبأجهزة التعليم — مناهج وأساتذة وطلابا للبناء ، وبأجهزة التوجيه والارشاد كالمساجد والنوادى الثقافية للدعم ، وبأجهزة الاعلام للتنشيط أو للدفاع على الأقل .

٣ : — رصد الفرص والمناسبات لخطوات اجتماعية واسعة ، ذلك لأن المجتمع على اتساعه وكثرة اجزائه وتعقيده يهتز ويتأثر بادنى تبديل يطرأ على جانب من جوانبه كمثل الجسد الواحد ، أو كمثل كفتي الميزان . فالتحكم بالمناسبة المواتية ضرب من التحكم بدفة المجتمع باسره . والعقبة الكأداء قد تصبح فرجا مفاجئا ، والقوة القاهرة قد تنقلب الى قوة صديقة بحسن تدبر . فالانسان القديم حين اعترض النهر سبيله ولم يقدر على اجتيازه ألقى بجذع شجرة يابسة على صفحته وركبها . والذى يداهمه ثور هائج فى مكان ضيق ربما حطم قرنيه بقفزة الى أعلى أو يمين أو شمال .

٤ : — التصدى لقضايا المجتمع الكبرى بعد استقراء مشاكل قطاعات المجتمع جميعا ، مثل الاستقلال والسلم والحرب ، والاقتصاد والدستور .

٥ : — تهيئة قادة اجتماعيين بالاصطفاء والاعداد للتخطيط أو للقيادة ، فرب فرد أغنى مالا يغنيه عدد كبير من الناس .

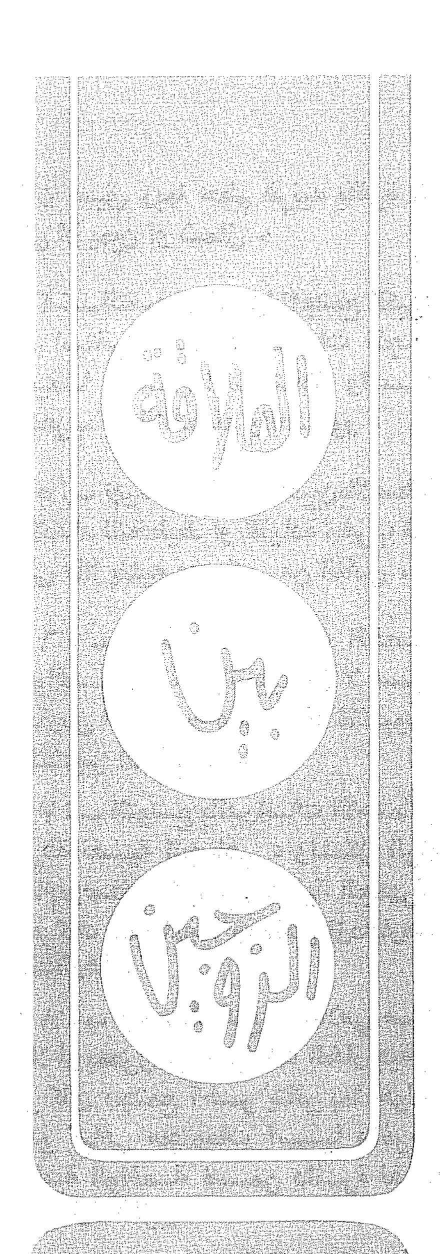
٦ : — مراقبة حركات الخصم ومواقعه (الاستراتيجية) لا سيما المدارس التبشيرية والصحافة المشبوهة ، والتشهير الدائم بها .

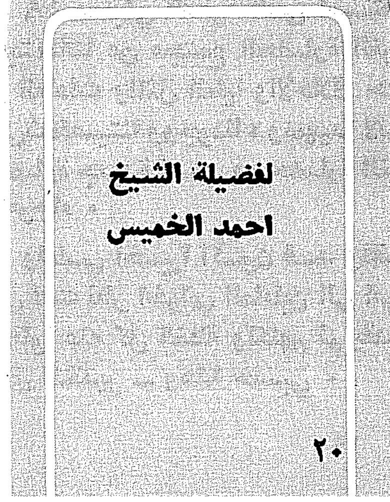
٧ : — التوسع بالدراسات الاجتماعية لمعرفة نفسية الجماهير ، وتشكل الرأى العام ، وصفات الزعيم ونفسية الجمهرة ، وحركات الجماعة ، وعوامل ازدهارها واندثارها .

٨ : — ليس المجتمع الاسلامي مادة غفلا أو بمعزل عن التيارات الخارجية بل هو كأى مجتمع آخر يتأثر بما حوله ، وهو كباقي مجتمعات آسيا وافريقيا النامية الواقعة ضمن دائرة نفوذ الحضارة الغربية .

٩ : — تبني الدعوة الى استقلال مجتمعاتنا عن مجتمع الحضارة الغربية فى العادات والمثل العليا والأخلاق حفاظا على شخصيتنا ووجودنا ، وتمهيدا لانشاء حضارة جديدة أسمى من حضارة الغرب العرجاء .

ولعلي أخيرا أكون قد وفقت الى لفت نظر اخواني العاملين الى امر لم يغفلوا عنه كل الغفلة ولكنهم لم يقدروه حق التقدير — وهذا حسبي .





الزواج طمأنينة

عني الاسلام باظهار الاهداف الروحية من الزواج ، وقد جعلها الركائز التي يقوم عليها بناء الحياة الزوجية والدعائم التي تحقق الألفة والمودة ، وتتمثل فى سكون النفس مع اضطرابها الجنسي الفطرى بالحب بين الزوجين وتوسيع دوائر المودة والألفة بين العشيرتين بالمصاهرة واكتمال عواطف الحنان والرحمة الانسانية وانتشارها بين الزوجين لتنتقل الى البنين والبنات ، والى هذه المعاني الروحية يرشدنا تعالى بقوله ((ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)) .

الصلة الجسدية

ومع هذا لم يغفل الاسلام الجانب الجنسي والعلاقة الجسديةبين الزوجين، فقد هدى بها الى أقوم سبيل ، وأرشد طريق ، لتحقيق أهداف حق الفطرة الغريزية ، وبذلك تجنب الانحراف والاعوجاج ، فقد كان اليهود والمجوس يبالغون فى التباعد عن المرأة حال حيضها ، والنصارى كانوا يجامعونها فى الحيض ولا يبالون ، وعرب الجاهلية تأثروا باليهود فى هذه الناحية ، فكانوا اذا حاضت المرأة لا يؤاكلونها ، ولا يشاربونها ، ولا يجالسونها على فراش ، ولا يساكنونها فى بيت ، لذلك توجه بعض المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم للسؤال عما يحل لهم وما يحرم عليهم فى معاملة الحائض فنزلت الآية الكريمة «ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » وفهم بعض الأعراب أن الاعتزال الا يساكنوهن ، فبين النبي صلى الله عليه وسلم لهم المراد من الآية وقال انما

أمركم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ، ولم آمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم ، فلما سمع اليهود ذلك قالوا هذا الرجل يريد الا يدع شيئا من أمرنا الا خالفنا فيه .

واذا رجعنا الى الطب الحديث نجده قد كشف النقاب عما يوجد فى افرازات الحيض من مواد سامة تضر بالجسم اذا بقيت فيه،وكذلك كشف عن سر الاعتزال أثناء الحيض ، فالأعصاب التناسلية تكون فى وضع احتقان والأعصاب مضطربة بسبب افرازات الغدد الداخلية فالاختلاط الجنسي يضرها ضررا بليغا وربما كان سببا فى منع نزول الحيض ، وقد يكون سببا فى التهاب الأعضاء التناسلية .

وفى الآية تشبيه للقاح الجنسي بالانبات وان الغاية من الحرث والزرع هو الانتاج، وكذلك الغاية من اللقاح الجنسي هو التوالد والتناسل ، ومكان ذلك معلوم ، وما عداه فهو محظور ممنوع منهي عنه ، ولذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى الرجال عن اتيان المراة فى غير المكان الطبيعي الذى أعد لذلك وقال لا تأتوا النساء فى أدبارهن ، وقال لعن الله من اتى امراة فى دبرها ، وقال فى الذى يأتى امراة فى دبرها هو اللوطية الصغرى .

حفظ أسرار الزوجية

وقد اثنى القرآن على المراة التي تحفظ السر بالغيب فقال سبحانه « قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » وفى جملة الغيب الذى يجب أن تحفظه المراة بل هو فى طليعة ذلك ما كان من أسرار الزوجية ، فلا يصح أن تذكره فى المجالس وتجعله مادة لسمرها مع صويحباتها ، وكذلك يجب على الرجل ما يجب على المراة فى هذا المضمار من كتمان للسر وحفظ للحاجات والمتع الزوجية ، فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سلم أقبل علينا بوجهه ، فقال : مجالسكم .

هل منكم الرجل اذا أتى أهله أغلق بابه ، وأرخى ستره ، ثم يخرج ، فيحدث ، فيقول : فعلت بأهلي كذا ، وفعلت كذا ؟ فسكتوا ، فأقبل على النساء ، فقال : منكن من تحدث فجثت فتاة كعاب على احدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويسمع كلامها فقالت : أى والله انهم يتحدثون ، وانهن يتحدثن ، فقال عليه السلام : هل تدرون ما مثل من فعل ذلك ؟ ان مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهما صاحبه بالسكة ، فقضى حاجته منها ، والناس ينظرون اليه .

وفى هذا التشبيه ما فيه من تحقير وازدراء لهذه العادة الخسيسة والحماقة الوضيعة .

المعاشرة الزوجية

عقد الزواج عهد وثيق وربط بين قلب الرجل وقلب المراة ، وبذلك أصبح كل فرد منهما أليفا للآخر ، ويسمى زوجا بعدما كان فردا لأن كل واحد من الرجل والمراة يمثل أليفه وخليله ، ويحمل بين ضلوعه وحناياه آماله وآلامه .

وقد صور القرآن الكريم قوة هذا الرباط بين الزوجين وعظمته فقال تعالى « هن لباس لكم وانتم لباس لهن » وهو تعبير بليغ معجز يكشف عن مقدار الاندماج والستر والحماية والطهر والجمال الذى يحققه كل منهما لصاحبه، ومن أجل ذلك كان على كل من الزوجين حقوق وواجبات للآخر ينبغي تحقيقها والنزول عند رغباتها وأهدافها كما قال تعالى « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال علين درجة » وقد سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : ما حق زوجة أحدنا عليه قال : أن تطعمها اذا طعمت،وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه، ولا تقبح ، ولا تهجر فى المبيت . فلا يجوز للزوج المسلم أن يترك زوجته بلا نفقة وبلا كسوة ومسكن ، وفى

الحديث كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت ، ولا يجوز أن يضرب وجه زوجته لما فيه من اهانة واحتقار ومذلة للانسان مع ما فى ذلك من خطر جسيم على أجمل عضو فى الانسان ، فالوجه هو جماع محاسن الجسم البشرى وفيه حواس الذوق والشم والبصر .

واذا كانت الشريعة الاسلامية اجازت للمسلم عند الضرورة أن يؤدب زوجته الناشزة المتمردة الخارجة على بيت الزوجية وعش الحياة فهي لم تبح له مع هذه الضرورات ضربها ضربا مبرحا مؤلما يصيب وجهها أو مقاتلها ، وكذلك لا يجوز للمسلم أن يهين زوجته بأن يؤذيها بلسانه ، ويسمعها من الكلام كأن يقول لها قبحك الله ، وما شابه ذلك أو شاكله من الكلمات الجارحات المؤذيات .

وللزوج كذلك على المرأة حقوق ، فلا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن لأحد فى الدخول الى بيت زوجها وهو كاره ، ولا تخرج منه وهو كاره ، ولا تطيع فيه أحدا ، ولا تعتزل فراشه ، ولا تضربه اذا كانت أقوى منه جسدا ، وبذلك تسعد فى حياتها ، ويرضى عنها ربها ، وتكون لها الدرجات العلى .

سياسة البيت

وعلى المسلم أن يصبر على زوجته اذا رأى منها ما يكره من تصرفاتها العاطفية ، فالمرأة سريعة الغضب سريعة الانفعال سريعة الرضى ، ويجب أن يذكر حسناتها وما تقوم فيه من الخدمة المنزلية وتربية الأبناء وادخال السرور على الجميع فى حالات الرضى ، و فى الحديث لا يفرك (لا يبغض) مؤمن مؤمنة ان سخط منها خلقا رضي منها غيره .

وقال تعالى « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » وكذلك أوجب الاسلام على المرأة أن تسترضي زوجها ، وتدخل عليه السرور والسعادة ، وتكون معه فى أزمات الحياة ، وحذرها من أن تدع زوجها يبيت وهو غاضب عليها ، وفى الحديث ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤسهم شبرا رجل أم قوما وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وأخوان متصادمان (متخاصمان) .

وطالما أن الرجل سيد البيت وقطب الرحى وهو محور لسعادة الأسرة ونقطة ارتكازها فعلى المرأة ان تطيعه أولا فان تمردت ، وعصت ، وخرجت عن طاعته فسدت الشركة ، واضطربت سفينة المنزل وقد تغرق طالما تسير بدون ربان وبدون قيادة .

واذا لاحظ الزوج على زوجته آثار النشوز ومظاهر العصيان والتعالى ، فعليه أن يحاول اصلاحها بما يقدر وبما يستطيع من صبر وأناة وكلمات طيبات ومعاملة رقيقة فان لم تنجح هذه المعاملة فى اصلاحها هجرها فى المضجع فان لم تفد هذه التجربةالقاسية عمد الى تأديبها بالضرب غير المبرح ، وهو علاج قد يجدى أحيانا فى بعض النساء ضعيفات المعرفة والعقل ، ومع هذا الذى اباحه الاسلام فنجد أن الضرب غير مرغوب فيه فهو الضرورة القاسية والعلاج الأخير الذى لا يعمد اليه الا بعد أن تعجزه الحيلة ، وينفد الصبر ولات مناص ، فقد نفر الرسول من الضرب فقال : يضرب احدكم امرأته ضرب العبد ولعله ان يجامعها آخر اليوم فان لم تنفع جميع هذه الوسائل فعلى المجتمع الاسلامي أن يتدخل وعلى أهل الرأى والخير الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر أن يتدخلوا للاصلاح فيبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها لعل الله يوفق بينهما .

وفى هذا كله قال تعالى « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا . وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا » .

بقية من هدى السنه

وتباريح الفصام وعظم الوزر ، من ذكر حسن لا يبلى وخلود ما تعاقب الجديدان لعالم اكتشف حقيقة كونية أو أزاح النقاب عن خبيئة علمية استعصت على غيره فاهتدى بها الحائرون وسار على ضوئها المدلجون واطمأن فى حماها الحيارى والتائهون ؟ .

٨ : ـ **واقتضت حكمة مبدع السموات والأرض وخالق الليل والنهار اختلاف الميول وتباين الاتجاهات فى طلب العلوم ، وتفاوت الاستعداد لها ، ومن هنا نشأت الفنون المختلفة والصنائع الكثيرة وتعددت أنواعها لينتظم أمر الحياة ، وتتوافر وسائل السعادة فيها .**

ومن أروع الأمثلة التي رواها التاريخ لسادة من العلماء نسلوا من أبوين ، وشبوا فى بيئة واحدة ، ودرجوا فى جو واحد ، ومع هذا اختلفت ميولهم الى أنواع العلوم ، فسبق كل منهم فى العلم الذى صادف هوى فى نفسه ، ووجه اليه همته ، وألقى فيه دلوه .. أبناء الاثير الثلاثة نصر الدين الذى برع فى الأدب وتحرير الرسائل وهو صاحب كتاب (المثل السائر) . فى الوقت الذى جلى فيه اخوه محمد مجد الدين فى الحديث وعلومه وألف كتاب (النهاية فى غريب الحديث) وكتاب (جامع الأصول فى أحاديث الرسول) . وأما ثالثهم فهو الامام الذى لا يشق له غبار في الفراسات التاريخية وتفصيل أحوال الأمم .. مؤلف كتاب (الكامل فى التاريخ) ذلكم العلم الشامخ هو علي عز الدين ... وسبحان منخالف الميول لينتظم أمر الكون ... وفى عصرنا نجد من الاسرة الواحدة المتخصص فى الطب والبارع فى الهندسة ، والمتعمق فى العلوم البحتة وتلك سنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

٩ : ـ ومن الصفات التي لازمت العلماء العاملين ، ويجب أن يتسم بها كل باحث عنالحقيقةهي خلة الامانة واحترام السابقين مهما كانت درجتهم العلمية ، وقد أحسن كثيرا ابن مالك النحوى المشهور بألفيته التي سار بها الركبان ، حين أثنى فى مقدمتها على سلفه فى نفس العلم فقال فى ابن معطي .

وهو بسبق حائز تفضيلا مستوجب ثنائي الجميلا
والله يقضي بهبات وافرة لي وله فى درجات الآخرة

ولو ذهبنا نستقصيهم واحدا واحدا ، ونسجل دلائل أمانتهم وشديد حرصهم على تنقية العلوم من الشوائب الدخيلة لطال المقام ، والأمثلة فى الماضي والحاضر كثيرة لمن يطلبها .

وأخيرا

فانا نأمل أن ينسج أبناؤنا على منوال السابقين فيقبلوا على الارتشاف من مناهل العلوم الصحيحة بهمم وثابة ، وعزائم قوية ، ورغبة صادقة ومثابرة لا تنقطع وقرائح نقادة ، نفاذة الى اللباب الخالص فقد قيل... (العلم لا يعطيكبعضه الا اذا أعطيته كلك واذا أعطيته كلك فأنت من اعطائه البعض على خطر) . فاطرقوا ـ معاشر الابناء ـ أبواب العلوم بقوة وعزم يبلى الملوان وهو صارم صقيل ، واحرصوا على تحصيله حرص البخيل على درهمه ، حرصا لا يشفى القليل معه الا أن تغترفوا من العلوم وتعبوا من أنهارها بكأس دهاق ، ففوصوا على دررها ولآلئها ، ولا تدعوا وعورة المسلك تحول بينكم وبين أهدافكم وبلوغ غاياتكم ، ولا تتهيبوا طول الطريق وبعد الشقة فلولا الصعاب والعقبات ما برز الرجال ولا لمعت بالتاريخ أسماء ، فالحرص الحرص على ما ينفع أمتنا ، بل الأمم جميعا ، فما كان ولن يكون العلم ملكا لقوم دون آخرين ، ولا وقفا على جماعة دون جماعة ، وبالجد والصبر والكفاح تخصب بلادنا وتنتج عبقريات ممتازة ، كما هي منذ عصور الاسلام الأولى منابت الخالدين ، ومطالع القادة فى كل ميدان .

وما سمت الانسانية ، ولا تقدمت الدنيا ، ولا قطعت الحضارة أشواطها البعيدة فى سبيل المعرفة الحقة الا بالعلم وجهود العلماء ، وما اكثر ما حث القرآن الكريم ورسول الله الهادى الأمين على التأمل والبحث حتى تنتشر الهداية فى الدنيا ، ويأخذ الناس طريقهم الى الله عن معرفة ويقين مصدرهما البرهان والاستدلال فاعملوا والله معكم ولن يتركم أعمالكم ومن سار على الدرب وصل ... والله سبحانه هو الهادى الىسواء السبيل .

يا ابنة الشرق

للاستاذ ابراهيم محمد نجا

سافرى .. حولكِ المُنىَ البسّامه ... ثم عُودِى .. مصحوبةً بالسّلامه
يدرك المجدَ من يشمّر للمجـ ... ـد ، فيمضى على هدىً واستقامه
واغترابُ النفوس حق عليها ... حين تبغى بين النجومِ إقامه
أنتِ أهلٌ لكلِّ مجدٍ عظيمٍ ... ورقىٍّ وعزةٍ وكرامه
عملٌ دائبٌ ، ونفسٌ طَموحٌ ... بالمعالى مشغوفة مستهامه
وذكاء تَوهَّجَ النورُ منهُ ... فرأينا في نوره إلْهامَهْ
ونبوغٌ يهدى النفوسَ ، فلا تمـ ... ـلكُ الا تقديرَه واحترامَه
وَمضَاءٌ في كل أمرٍ ، وحزمٌ ... ليس يلقى صعبا يفُلُّ حُسَامه
وخلالٌ مثل الربيعِ تجلى ... فكسا الكونَ رقةً ووَسَامه
أوكشمس الصّباحِ تُشرقُ بالنو ... ر ، فتجلو عن الوجود ظَلامَه
أو كزَهرِ الرياضِ يحلم في الليـ ... ـلِ ، ويُهْدِى في عطرِه أحلامَه
هكذا أنتِ .. بَلْ أجل وأسمى ... من قصيدى .. مهما أجدتُ نظامَه
فاعذرِينى اذا سموتِ عن الوصـ ... ـفِ ، فأوجزتُ بدءَه وختامَه
لو أفضْتُ الكلامَ فيكِ لأعجز ... تُ قصيدى .. فلم أجد أنغامَه
فاقبلى صمتىَ البليغَ ، ففى الصمـ ... ـتِ على قوة الشعورِ علامَه

***

يا ابنة الشرق .. ياابنة النورِ والإشـ ... ـراقِ .. يا رمزَ مجدِه وقِوامَه

« قيلت فى حفل وداع عائلي أقيم لسيدة شرقية مسلمة .. تسافر الى الغرب مع زوجها المسافر فى بعثة دراسية » .

حدثنى الغرب أننا قد نهضنا ... فملكنا من كل مجد زمامه
وملأنا الأيام عزا ، وكانت ... يوم هنا ذليلة مستضامه
وجعلنا الاسلام أسمى شعار ... ورفعنا القرآن نورا أمامه
وحده يجمع الشعوب لتقوى ... وله وحده تكون الزعامه
وبنينا بالعلم صرحا مكينا ... وجعلنا الأخلاق فيه الدعامه
وملكنا من قوة الخير والاص ... لاح ما يهدم القوى الهدامه
فاذا ما أراد حربا ... فحرب ... أو سلاما .. فما نرد سلامه
نحن نبغى الحياة غصناً نضيرا ... تتغنى على ذراه حمامه

* * *

يا ابنة الشرق ، والرحيل قريب ... فاذكرى الشرق ، واذكرى ايامه
نحن في موقف يجل عن الوصـ ... ف ، ويقصى عن البليغ كلامه
نبصر البشر قائما يتغنى ... ونرى الحزن ناشرا أعلامه
ولقد تبسم القلوب وتبكى ... انما القلب .. دمعة وابتسامه

***

يا ابنة الشرق لا أقول وداعا ... بل لقاء يعطى البعيد مرامه
سافرى .. حولك المنى البسامه ... ثم عودى .. مصحوبة بالسلامه



كان المجتمع الانساني فى جزيرة العرب وما حولها قبيل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم مجتمعا مضطربا بعيدا عن الاستقرار والاعتدال والمثالية ، يقل فيه التعاون على البر ، والتناصر لمصلحة الجماعة . ويسوده التفكك فى صلة أبنائه بعضهم ببعض ، والانحلال فى الاخلاق والروابط ، وتتغلب على أفراده نوازع الأثرة وحب الذات : لا يعرف أكثرهم الا ما يرضى نفسه وحسه ، والا ما يشبع غرائزه الدنيا وعواطفه الفردية ويكثر فيه بغى القادرين على العاجزين ، وانتقام الأقوياء ممن دونهم ، وطغيان ذوى السلطان والنفوذ على من حرموا من ذلك . اعتزازا بمالهم من قوة أو جاه ، أو كثرة عددية ، أو عصبية قبلية .

كان الفرس والروم ـ وهما دولتا العالم المتنازعتان على سيادته اذ ذاك ـ تعمهما الفوضى ، وتسيطر عليهما الأهواء ، وتحكمهما الشهوات ، وتجرى بينهما المعارك التي يستهان فيها بالدماء والأرواح ، وتستباح فيها الأموال والأعراض والحرمات : كل واحدة منهما ترجو أن تكون هي الغالبة ، وأن تكون هي صاحبة الكلمة النافذة والراية الخفاقة على الارض ، ارضاء لشهوة ، لا نشرا لفكرة ، ولا دفاعا عن عقيدة .

مجتمع جاهلي

وكان العرب ـ بين هاتين الدولتين ـ امة قد وقعت بين أبنائها الفرقة ، واختلفت الكلمة ، وانحلت عرى الألفة ، وعزّ أن تخضع لمنطق أو تدين بقانون ، أو تعترف لأحد بسلطان تنقاد لنفوذه وتعمل على تثبيته . واصبح أبناء القبائل من أجل ذلك لا يعرف احد منهم لأحد حقا ، الا ما اثبتته القوة ، أو ما أملته العصبية أو النعرة الجاهلية .

كانوا ـ فى الأعم الأغلب من أحوالهم ـ متدابرين

للشيخ عبد العزيز محمد عيسى

متقاطعين قلما تقرب الرحم قلوب بعضهم الى بعض ، أو ينعطف الجوار باحسان أحد الى أحد . كانوا يتنادون الى السلاح أن سفه أحد رأى غيره ، أو غلبت فرسه فرسه فى سباق أو نحوه ، أو ذكر واحد بعض ما كان بين الأسلاف من ترات ومعارك ، وتدور بينهم الحروب السنين الطوال ، تهلك شبابهم وشيبهم،وتأتيعلى أخضرهم ويابسهم، لاحقر الأمور وأتفه الأسباب . وفيما حدثت به مصادر التاريخ مما كان فى حرب البسوس التي استمرت أربعينعاما والسبب قتل كليب بن ربيعة ، ناقة البسوس بنت منقذ ، ومما كان بين عبس وذبيان فى حرب داحس والغبراء ، وهما فرسا الرهان ، والسبب صد أحد الفرسين عن الغاية ليسبق الاخر ، ومما كان فى أيام معاركهم ووقائعهم كيوم بعاث بين الأوس والخزرج ، وغيره من أيامهم ما يشهد على ذلك ويفصح عنه .

وكانوا الى ذلك خاضعين فى حياتهم العامة والخاصة لأفكار رديئة ، أفقدتهم ارق العواطف الانسانية وأحسنها ، وحرمتهم آثارها الطيبة بالنسبة الى الأفراد والمجتمع ، وسلكت بهم سبلا بعيدة عن التهذيب والاعتدال . الم يكن من دأبهم الاندفاع للأخذ بالثأر فى غير عدل ولا عقل ، وحرصهم على ذلك مهما طال الزمن وتغيرت الاوضاع ؟ الم يكن فيما كان من تصرفاتهم المعيبة قتل أولادهم سفها بغير علم ، ووأد بناتهم خشيةعار متوهم وخوف املاق مظنون ؟؟

نعم كان العرب ــ بين هاتين الدولتين ــ كذلك وأكثر من ذلك زمنا تعاونت فيه ظروف الاحوال على تضييع معالم الرسالات السابقة وآثار هداية السماء . ثم شاءت حكمة الله تعالى ــ على حين فترة من الرسل ــ رحمة بعباده ، وسيرا بهم على الصراط السوى ، وأخذا بيدهم الى ما يريد لهم من الصلاح والخير : أن ينتشلهم من البلاء الذى تورطوا فيه ، وينقذهم من الآلام التي القوا بأيديهم اليها . فارسل اليهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق . بكتاب عربى مبين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم .

فنادى فيهم كما أمره ربه : « يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » ، فآمنوا ، فنقلهم ذلك الايمان من صفات الشر التي كانوا عليها الى خلال الخير التي هداهم الاسلام اليها ، وأخرجهم من ظلمات الشرك والجهل الى نور التوحيد والمعرفة ، وأبدلهم من القسوة والفلظة وحب الانتقام وجمود العواطف ، رقة ورحمة ، ولينا ومودة ، وايثارا واخوة ، ليكونوا بذلك أسوة لمن عاصرهم ، ومثلا لمن يجيء بعدهم ، وليجعلهم خير امة أخرجت للناس ، وخير قدوة لمن أراد الاقتداء . ثم امتن عليهم بذلك فكان أبرز ما لفت الانظار اليه فى هذا الامتنان ما منحهم من صفة الاخاء : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » .

نعم جعلهم اخوانا متحابين ، بعد أن كانوا أعداء متحاربين، جعلهم أبناء مجتمع متعاون متكافل متضامن : يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه ، بل يحب له أكثر مما يحب لنفسه ، بعد أن كانوا ذوى أنانية وشح وأثرة ، ونبه فيهم عواطف الأخوة الانسانية ، وبواعث المودة واللين والرحمة ، بعد أن كانت عواطفهم غليظة قاسية ، لا تعرف أخوة ، ولا ترق لبنوة : ولا تخضع لانسانية .

ثم حدثهم القرآن عن أخوة الاسلام وما ينبغى لها ، ليظل معنى الاخاء آخذا

بأنفسهم ، ماثلا أمامهم متمكنا من حنايا صدورهم ، ولتكون أعمالهم وتصرفاتهم فى دائرة ما يحفظ هذا الاخاء وينميه ويعين عليه ويرعى بقاءه « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم » . « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب » « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله . » « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا » .

وحدثهم الرسول الأمين صلوات الله عليه عن هذه الأخوة فى المناسبات المتعددة حديثا مستفيضا موجها ، ليظلوا خرصاء عليها ، ممكنين لها ، ساعين فى تعزيزها ، راغبين فى تحصيل ثمارها ومغانمها : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » . « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره » . « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » . « من كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته » . « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . « المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل احداهما الاخرى » .

التشريع يدعم الاخاء

وجاءت تشريعات الاسلام فى عباداته ومعاملاته تؤكد معنى الاخاء ، وتعلنه ، وتقوى عاطفته ، وتحمل على رعايته والاعتزاز به .

فالصلاة تدعو اليه حين يحاذى بين المناكب فى صفوفها الحاكمون والمحكومون ، والواجدون والمحرومون ، والأقوياء والضعفاء ، والشباب والشيب ، لا حواجز ولا مراتب ولا درجات ، وتعلن عنه حين ينتظم الجمع خلف واحد منهم يقومون بقيامه ، ويركعون بركوعه ، ويسجدون بسجوده ، ولا يخرجون من صلاتهم قبل خروجه .

ان هذا لمظهر رائع من مظاهر الأخوة يطامن من أنفس المتعالين ، ويلفت نظرهم الى تماثلهم مع غيرهم فى هذه الاخوة حينا بعد حين ، فيقربهم اليهم ، ويقبل بهم عليهم ، وهو فى الوقت نفسه يرفع من أنفس الاخوة الآخرين ، ويعلى من معنوياتهم حين يشعرهم بالتساوى مع أولئك الذين تحاول مظاهر الحياة الدنيا أن تبعدهم أو تبعد عنهم معانى الاخوة ، وتحمل الناس على نسيانها .

والصيام يعزز معناه ويبرزه ، حين يسوى فى فريضته بين العامة والخاصة ، والسادة والسوقة ، والرجال والنساء ، والأغنياء والفقراء . وينادى به حين يرى الكل أنفسهم سواء أمام فريضته ، وسواء أمام نظامه وأحكامه : لكل منهم أن يأكل ، ويشرب حتى يتبين له الخيط الابيض من الخيط الأسود من الفجر . فاذا تبين ذاك كان الامساك فريضتهم جميعا الى الليل يستوى فى ذلك كل من لزمه الصوم ، ووجب عليه أداؤه . من العامة كان أو من أصحاب الجاه والسيطرة . لا يفتدى أحد منهم نفسه من ذلك بمال ، ولا يتميز على غيره بمنزلة أو سلطان .

والزكاة تعاون وتكافل واشتراك أو اشتراكية ينبعث عن هذه الأخوة ويجرى بَيْنَ الناس أثراً لها واستجابة لعاطفتها ودواعيها .

والحج يفصح عن ذلك ، وينادى به فى شعائره ومظاهره : فى الاحرام على طراز واحد ، والطواف حول بيت واحد ، والسعى فى مكان واحد ، والوقوف فى صعيد واحد ، والرمى فى اتجاه واحد ، والتلبية والدعاء على نظام واحد ، والتوجه بذلك كله الى اله واحد ، ليشعروا من ثنايا ذلك وهديه بمعنى الاخاء ، ويستجيبوا اليه ، وتكون تصرفاتهم فى اطاره وفى دائرة ما يحققه ، ويرفع من شأنه .

وفى جانب المعاملات ورد النهى عن أن يبيع الرجل على بيع أخيه حتى يترك البائع قبله أو يأذن ، أو أن يخطب على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن . وروى الأئمة : « لا تسأل المرأة طلاق أختها لتكتفىء ما فى انائها ، فانما رزقها على الله » ولكل ما قدر لها ، ولو تتبعنا أنواع العبادات والمعاملات أو اكثرها لوجدناها تهدف الى تحقيق معنى الاخاء ، وتأخذ الناس به ، وتحملهم عليه .

وقد كان عمله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه خير ما يمكن فى هذا الشأن ، وأعظم قدوة يقتدى بها . تنفيذا للسياسة الاسلامية الحكيمة فى اعلان شعار تجتمع الأمة حوله ، وتخير مبدأ قويم تلتقى عنده ، يربط بين قلوب أبنائها ، ويوجه الى هدفها المقصود ، ويدعو الى فكرتها السامية ، ويبعد عنها معانى العصبية والجنسية واللونية والاقليمية . فكان ذلك هو الاخاء الذى أرسى دعائمه رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أن استقر فى المدينة المنورة ليجمع به كلمة المسلمين ، ويقضى به على كل خلاف كان أو يكون بينهم على مر السنين .

ولهذا آخى صلوات الله وسلامه عليه بين الأوس والخزرج مؤاخاة عامة ، وهما قبيلتا يثرب الكبيرتين المتنازعتين ، المعروفتين بمعاداة كل منهما للأخرى ، الى أن جاء الاسلام . كما آخى هذه المؤاخاة العامة بين المهاجرين والأنصار وهم أهل بلدين مختلفين ، لم يسبق أن كان بينهما وفاق أو اشتراك فى خير . الى أن كانت هذه المؤاخاة ، فكان من حسن تقبل الانصار لها ، وجميل تصرف المهاجرين فى أمرها ، ما جعلها المثل الاعلى فى الصلات الانسانية ، وما جعل القرآن الكريم يشيد بها فى قوله تعالى : « والذين تبؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأؤلئك هم المفلحون » .

وزيادة على هذه المؤاخاة العامة . دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التآخى فى الله : اثنين اثنين ، فكان هو وابن عمه علي بن ابى طالب أخوين ، وعمه حمزة بن عبد المطلب ومولاه وحبه زيد بن حارثة الكلبى أخوين . وصديقه أبو بكر بن أبى قحافة وصاحبه خارجة ابن زيد الانصارى أخوين ، وعمر بن الخطاب العدوى القرشي وعِتْبان بن مالك العوفى الخزرجى أخوين ، وسعد بن الربيع الانصارى وعبد الرحمن بن عوف القرشى الزهرى أخوين .

اباء وشمم

ويجمل بنا ونحن نتحدث عن الاخاء ، ونذكر ما كان من المؤاخاة بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف أن نشير الى ما روى البخارى فى شأنهما مما يتحدث عن الايثار فى أكمل مظاهره ، وعن علو الهمة ، وعدم اغتنام الفرصة

التي قد يرنو اليها آلاف الرجال ، ترفعا بالنفس أن تكون كلا على غيرها .

ذلك أن عبد الرحمن لم يكن يملك بالمدينة أول مقامه بها مالا ولا غيره ، وأن سعدا كان من سراتها واصحاب الثروة فيها ، ومن اكثر الانصار مالا ، وقد عرض على عبد الرحمن نصف ماله — على وفرته — يعطيه اياه طائعا مختارا دون بدل أو عوض . كما عرض عليه — وفاء بحق الاخاء — أن يطلق من أجله احدى زوجتيه أو أعجبهما اليه . حتى اذا حلت تزوجها . فأبى عبد الرحمن شاكرا داعيا . قائلا له : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، وطلب الى الحاضرين أن يدلوه على سوقهم فدلوه على سوق بني قينقاع : سوق المدينة اذ ذاك فأخذ يتردد عليه ، ويتابع الغدو والرواح اليه ، يبيع ويشترى ، مبتدئا ببعض أصناف الطعام ، ثم لم يلبث كثيرا حتى صار من كبار التجار ، وأخذت رواحل تجارته وقوافلها تجوب نواحي الجزيرة العربية بالسلع المختلفة ، وترجع اليه بالمال الوفير من كل جهة ، وأصبح من أغنياء المدينة ، يتزوج احدى بنات الأنصار ، ويمهرها وزن نواة من ذهب ، ويتصدق بنصف ماله ، ثم يتبع ذلك بأربعين ألف دينار من النصف الباقي له ، ثم يحمل للجهاد فى سبيل الله على خمسمائة فرس وخمسمائة راحلة ، ثم يعتق عشرات الآلاف من الأرقاء شكرا للنعمة وابتغاء لوجه الله .

استطردت بالاشارة الى ذلك لألفت النظر الى هذا اللون من الاخاء الذى بلغ هذا الحد من الايثار ، والى هذا اللون من الاباء والعزوف عن ثروة غير منتظرة ، ونعمة غير مترقبة ، ترفعا بالنفس وعلو همة كانا طريقا قصيرة ممهدة الى الغنى العريض والثروة الواسعة ، والعمل الكريم .

وأعود بعد ذلك الى هذه المؤاخاة الثنائية التي دعا اليها الرسول صلى الله عليه وسلم وشارك فيها . لقد أراد صلوات الله وسلامه عليه بهذا اللون من المؤاخاة أن يكون كل واحد من أبناء الامة عضوا فى خلية ثنائية متنقلة متكررة تبذل طاقاتها لصالح المجتمع ، وتعمل له ، وتسعى لخيره ، وتدرأ عنه الشر والفساد وعوامل السوء ، ولعله أراد أن يلفت نظر المسلمين بعد عصره اليها ، ليحققوا فى مجتمعاتهم ما حققته فى المجتمع الاسلامي الاول ، من اسعاد ابنائه ، واصلاح امرهم ، والترفيه عنهم ، وتحقيق التعاون بينهم على البر والتقوى . ولعل أبناء الامة الاسلامية الآن يحيون هذه المؤاخاة الثنائية فى الله على نحو ما كانت يوم شرعها رسول الله ، ويتحلون بها ، ويحققون معانيها ، فيسعد بهم مجتمعهم ، وتنهض بهم أمتهم ، ويصبحوا يدا على من سواهم .

أخوة عامة

وامعانا فى الدعوة الى الاخاء — شارة المجتمع الاسلامي وشعاره — نبه الاسلام أبناءه على الأخوة الانسانية وزينها فى قلوبهم ، فبين لهم أن الناس سواسية ، وأنهم جميعا من جنس واحد : من سلالة من طين ، وأنهم يرجعون الى أصل واحد ، لا يفضل أحدٌ منهم فيه أحدا : كلهم لآدمَ وآدم من تراب . لا فضل لأبيض على أسود ولا لعربى على عجمى الا بعمل ينفع المجتمع ويرفه عنه « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وجه الاسلام أبناءه الى هذه الأخوة الانسانية العامة ، ترفعا بهم عن معانى العصبية البغيضة ، وتقريبا للقلوب ، وليدفع عنهم سيطرة الغرائز الحيوانية الدنيا ، وما تدعو اليه من الأثرة والغيرة والشك ، وحب السيطرة والتغلب على المخالفين للمبدأ والفكرة ، وليحملهم بذلك على الاسهام فى ايجاد مجتمع مثالى نظيف متعاون متكافل ، يسوده العقل ، ويسيطر عليه العدل ، وتصرف شئونه عواطف الخير والمحبة والانصاف ، ويتلاقى

الناس فيه على أنهم جميعا خلق اله واحد ، وأبناء أب واحد ، وأصحاب أهداف متقاربة ومصالح متشابكة .

ولعل الاسلام هو الدين الوحيد الذى أقر الأسس وأوضح المعالم فى هذا الشأن حين جاء فى تعاليمه بالنسبة الى مخالفيه من أهل الكتاب : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » وحين ترفع عن العنصرية فأجاز أكل ذبيحة الكتابى ، وأوجب قتل المسلم بالذمى . بل حين ترقى ، فأذن للمسلم أن يتزوج الكتابية ، مع تركها حرة فى بقائها على دينها ، واباحته لها أداء تكاليفه والتعبد على طريقتها فى كنيسته وحين وجه أبناءه عامة أن يترفقوا بهؤلاء ، ويحسنوا اليهم : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم » .

هذا هو الاخاء كما يدعو اليه الاسلام وانه لمبدؤه الخالد ، وشعاره الواضح ، وعمل أهله الذى لا ينكر ، منذ ألف وأربعمائة عام ، وعلى امتداد هذا التاريخ الطويل ، دون ما تنكر له أو أغضاء من شأنه أو انحراف عنه او خروج على قواعد تطبيقه من جانبهم ، مع ترفع عن مقابلة الشر بالشر أو الاساءة بمثلها .

فأين من ذلك ما يزعمه الفرنسيون بعد أن قاموا بثورتهم المشهورة وما يتفنون به ويتغنى به كتابهم وذوو الاقلام فيهم من أنهم أصحاب مبدأ الاخاء ، والداعون اليه ، والمنادون به منذ أواخر القرن الثامن عشر ، وقد عرف العالم كله ما لهم من فظائع تبطل دعواهم وتطعنها فى الصميم . وفيما كان من أمر البلاد التي شقيت بحكمهم لها واستعمارهم اياها ، وفيما خضبت به أرض الجزائر من دماء الشهداء : رجالهم ونسائهم وشبابهم وكهولهم ، على مدى سبع سنوات شداد ، بله ما سبقها ما يرد على هؤلاء الزاعمين ، ويسكت أصوات المتفنين .

وأين منه كذلك ما تتمدح به أرقى الأمم حضارة من اعلانها حقوق الانسان واحتفائها بذكرى هذا الاعلان كل عام ، وهي التي يقع تحت سمعها وبصرها وفى ديارها وفى البلد الذى اتخذته مقرا لها . ما يلقاه الزنوج على يد البيض من مطاردة ومقاطعة وتحقير ، وهم جميعا أبناء وطن واحد ، ودين واحد ، وجنسية واحدة ، وثقافة واحدة ، وحضارة واحدة .

ان المآسى المعروفة الناتجة عن قضايا الأجناس والالوان ، وقضايا سيطرة الاوربيين على من لا يزالون يئنون من وجودهم بينهم واغتصابهم حقوقهم وأموالهم ، وتدخلهم فى شئونهم وبلادهم ، وهم أبعد الناس عنا . ان هذه المآسي مخجلة لأمم الحضارة . دالة على نقص كبير فى عقول القائمين على أمرها والمصرفين لسياستها . وعلى أن غرائزهم ما تزال بعيدة عن معانى السمو ، ومعانى الانسانية العالية الرشيدة ، وأن علوم هذه الحضارة ومعارفها وكل ما أوجدته لم يهذبها التهذيب الحقيقي ، ولم يصقلها الصقل الذى يشعرها بالأخوة الانسانية ، اذ لم تصل بعد الى ما وصل الاسلام بأبنائه اليه فى مجتمعاتهم ، وفى البلاد التي افتتحوها ، منذ أكثر من الف عام ، وما تزال تلك طريقتهم والحمد لله .

أليس يحق لنا من أجل ذلك كله أن ندعو العقلاء على اختلاف نحلهم وعقائدهم أن يتدبروا بحق تعاليم الاسلام ، ويرجعوا الى هدى الاسلام ؟ ! انهم ان استجابوا حلوا جميع مشاكلهم وأصبحوا مع الناس اخوة متساوين فالاسلام وحده هو دين الاخاء .

خواطر من هنا وهناك

وانا له لحافظون :

فى سنة ١٩٦٠ قامت العصابات الصهيونية بطبع الوف النسخ من القرآن الكريم ، بعد ان عمدت الى تحريفه وتزييفه ، فأسقطت منه بعض الآيات ، وغيرت فيه بعض الحروف والكلمات ، ثم قامت بتوزيعه فى كثير من الدول الافريقية والآسيوية بعد ان طبعت عليه الشعار الاسرائيلي المعروف .

وقد اثار هذا العمل الاجرامي يومئذ ثائرة المسلمين فى جميع أقطار الأرض ، وفزعوا له واحتجت الدول والهيئات الاسلامية فى العالم على هذا العدوان على كتاب السماء الوحيد الذى بقي سليما محررا الى يومنا هذا وتناقلته الاجيال عبر القرون الماضية نصا وأداء كما أنزله الله على خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه .

وكان هذا الاجتراء على كتاب الله احد الاسباب التي دعت الجمهورية العربية المتحدة الى الاسراع فى تسجيل المصحف المرتل وطبعه وتوزيعه على اذاعات الدول الاسلامية وغيرها ... وكان هذا مظهرا من مظاهر الحفظ والصون التي خص الله بها هذا الكتاب العزيز ❊ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ❊ .. انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ❊ .

وقد تناقلت الصحف فى هذه الايام نبأ مفاده انه نمى الى الدول العربية أن العصابات الاسرائيلية شرعت فى اعادة طبع المصحف المحرف الذى سبق ان قامت بطبعه فى سنة ١٩٦٠ .

وهذا العمل الخسيس الذى مرنت عليه اليهودية من قديم الزمان وسجله عليهم القرآن الكريم ❊ فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون ❊ فبما نقضيهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ..

هذا التحريف والتزوير يؤكد للعالم كله ، لجميع الاجناس والشعوب، لجميع الملل والنحل ان الصهيونية بلاء عالمي يهدم القيم الروحية والمثل الاخلاقية ويهدد الانسانية بالتفسخ الديني والخلقي والاجتماعي ، ولا يتورع عن استخدام اسوأ الوسائل كالتحريف والتدليس والدسائس والمؤامرات والذهب والنساء لاشاعة الرذيلة وافساد الاخلاق .

ويؤكد مرة اخرى ان اليهودية المزيفة التي يعتنقها الصهاينة دين متعصب حقود يلعن الاديان كلها ويسعى لافسادها للتخلص منها .

ان اصرار الصهاينة على تحريف كتاب الله يؤكد ان القضية الفلسطينية ليست صراعا بين مليونين من العرب أخرجوا من ديارهم واموالهم بغير حق وبين مليونين من اليهود حلوا محلهم واغتصبوا ديارهم واموالهم ... ليست القضية قضية قطعة من الارض المقدسة اغتصبها هؤلاء من اولئك انما هي قضية عقيدة ، قضية دين ، قضية الاسلام الذى يعتنقة أكثرمن ستمائة مليون مسلم تسعى اسرائيل لازالته من الوجود بطمس حقائقه واطفاء نوره وماذا يبقى من الاسلام وماذا يبقى للمسلمين اذا حُرِّف كتاب الله . . يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواهم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

فما يقول بعد هذا المسلمون الذين يريدون ان يصفوا القضية الفلسطينية على اساس الاعتراف بالامر الواقع مع مجرمين محترفين قطع الله الامل فى اصلاحهم ... أفتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون .

والى متى تستمر حملات السباب والمهاترات بين المسلمين واعداء الله الذين قاتلوا الانبياء منذ العصور الاولى يسعون جاهدين ليردوكم عن دينكم ان استطاعوا . . ؟

وقف الاعراس :

نشرنا فى هذا الباب من العدد الرابع تحت عنوان المدارس التبشيرية صورة من صور الخير المزيف ولونا من الوان البر المزور ظاهره الرحمة وباطنه من قبله العذاب ، ونعرض اليوم صورة مقابلة . . صورة مشرقة تمثل البرّ فى ارقى معانيه والمعروف بوجهه الحسن الوضاء . . . صورة للعاطفة الانسانية الرحيمة كيف يسمو بها الاسلام الى مستويات مثالية تظل من يحيا فى محيطها بظلال حانية رحيمة .

وانا نستهدف من وراء نشرها ان تهتز اريحية مياسير المسلمين لامداد هذا النبع الصافى الذى كاد يجف بعد ان كان ثراراً يرده العافون من كل حدب وصوب .

وهذا النبع يتمثل فى نظام الوقف الخيري الذى شرعه الاسلام وأمده المسلمون السابقون بفيض اموالهم فقد كان كثير من اغنيائهم يجعل لله نصيبا مما رزقه يرصده للانفاق فى وجوه الخير العام لتشييد المساجد والمدارس واقامة المستشفيات ابتغاء المثوبة والقربة عند الله تبارك وتعالى ووفاء بحق المجتمع واداء للحقوق الواجبة له واسهاما مع الدولة فى تحقيق العدالة الاجتماعية لافراد الامة التي هو جزء منها وعضو فيها .

وقد تطورت الجهات الموقوف عليها تطورا كبيرا تبعا لاختلاف البيئات وتقدم الزمن وحاجة المجتمع . فبعد ان كانت الارض والعقارات تحبس على حفر بئر او سبيل للسقيا ، او على توزيع صدقات

البقية على ص ٩٦

بقية موقف الاسلام من نظام الرق

قيود الرق عن رقاب الرقيق . والمقصود بالصدقات فى الآية الزكاة التي كان يتألف منها أهم جزء من موارد الدولة . فبينما كانت الشرائع السابقة للاسلام تفرض على من يعتق عبده غرامة يدفعها الى الدولة ، اذا بالشريعة الاسلامية تخصص جزءا من ميزانية الدولة للانفاق منه على تحرير العبيد .

ومن هذا يظهر صدق ما قلناه من أن الاسلام لم يقر الرق الا فى صورة تؤدى هي نفسها الى القضاء عليه بالتدريج . وذلك بأن ضيق روافده، ولم يسمح ببقاء ما أبقاه منها الا لأجل معلوم ، ووسع منافذ العتق الى أبعد الحدود . وبذلك أصبح الرق كما قلنا أشبه شيء بجدول كثرت مصباته وانقطعت عنه موارده التى يستمد منها الماء . وخليق بجدول هذا شأنه أن يكون مصيره الى الجفاف .

الاسلام ينصف الأرقاء

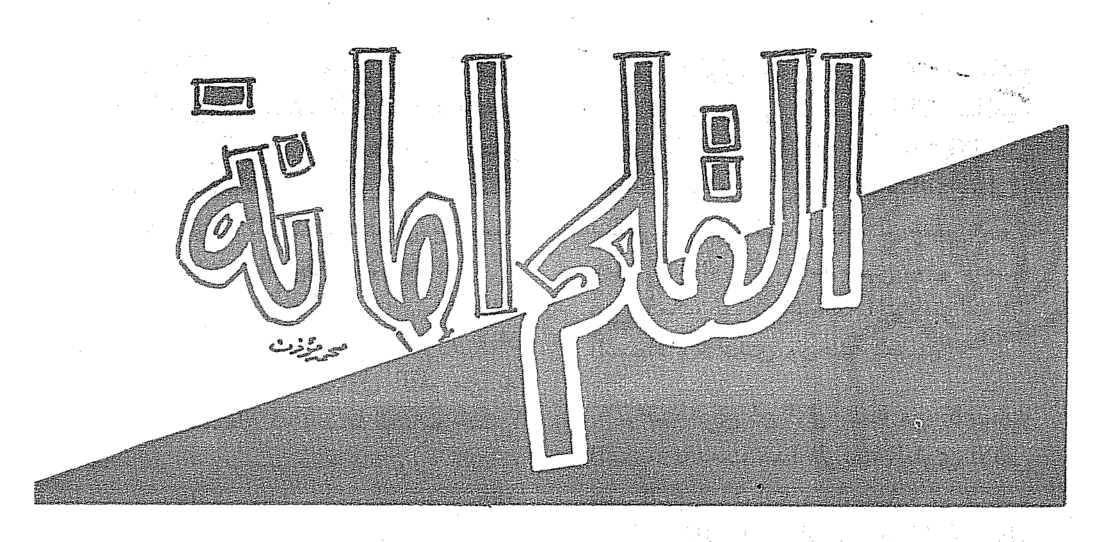
ثالثا : ـ موقف الاسلام حيال حقوق الرقيق ـ وفى انتظار جفاف هذا الجدول لم يترك الاسلام الرقيق تحت رحمة القوانين القاسية التي كان يسير عليها نظامه والتي كانت تهدر آدميته ، بل استبدل بهذه القوانين قوانين أخرى تفيض بالعطف عليه ، وتحترم انسانيته ، وتمنحه كثيرا من الحقوق المدنية نفسها .

فمن ذلك أن الاسلام قد أقر أن يكون للرقيق أسرة بالمعنى القانوني الكامل لهذه الكلمة ، وأباح للرقيق الذكر الزواج من أمة مثله ومن حرة ، وأباح للأمة الزواج من رقيق مثلها ومن حر ، بنفس الأوضاع والشروط والعقود التي يتزوج بها الأحرار ، فيما عدا اشراف السيد على عقد الزواج لعبده أو أمته . ويذهب الامام احمد بن حنبل أنه اذا كان الرقيق بالغا عاقلا فان السيد لا يملك اجباره لأنه يملك الطلاق فلا يجبر على النكاح .

وقد كانت الشرائع السابقة للاسلام لا تعترف لطائفة الرقيق بحق الزواج ولا بالحق فى أن تكون لهم أسرة بالمعنى القانوني الكامل . وكان الاتصال بين ذكورهم واناثهم لا يعتبر زواجا ، وانما كان يتم باختيار مواليهم وفى صورة يقصد منها مجرد التناسل وتكاثر عدد الرقيق كما يحدث بين الأنعام . وكان يحظر على الحر أن يتزوج أمة ، وعلى الحرة أن تتزوج رقيقا . بل ان معظم هذه الشرائع كانت توقع على الحرة التي تتزوج رقيقا عقوبة قاسية وصلت في بعض هذه الشرائع الى حد الاعدام (القانون الروماني مثلا) .

ومن ذلك أيضا أن الشريعة الاسلامية جعلت طلاق زوجة العبد من حقه هو نفسه لا من حق مولاه . فقد روى ابن ماجه فى سننه عن ابن عباس أنه قال . جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم رقيق وقال له . « يا رسول الله، سيدى زوجني أمته ، وهو يريد أن يفرق بيني وبينها » . فقال عليه السلام « أيها الناس ما بال أحدكم يزوج عبده أمته ، ثم يريد أن يفرق بينهما ؟ ! انما الطلاق لمن أخذ بالساق » . ويقصد بذلك أن حق الطلاق فى هذه الحالة لا يكون الا للزوج نفسه لا لسيده .

ومن ذلك أن الاسلام جعل الامان الذى يعطيه عبد مسلم من المقاتلين ملزما للجيش كله وواجبا احترامه كالأمان الذى يعطيه الحر سواء بسواء عملا بقوله عليه الصلاة والسلام ((المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم)) وروى البلاذرى فى كتابه ((فتوح البلدان)) أن المسلمين قد حاصروا حصنا فى بلاد فارس حتى أوشكوا أن يفتحوه ، ولكن عبدا مسلما فى جيش المسلمين كتب من نفسه أمانا لأهل الحصن ، ورمى به اليهم فى سهم ، فكتب المسلمون بذلك الى عمر ابن الخطاب ، فكتب اليهم يقول ((ان العبد المسلم من المسلمين ، ذمته كذمتهم، فلينفذوا أمانه)) .



للأستاذ عبد الكريم الخطيب

وصف الجاحظ الكتاب وصفا كاشفا مجليا ، لا نحسب أن احدا من الكتاب قد سبق « الجاحظ » او لحقه في الكشف عن تلك السمات المشرقة الوضيئة التي عرضها للكتاب فى هذا الوصف المستقصي والرائع معا .

« والجاحظ » بهذه الصورة الكريمة التي عرض فيها للكتاب ، وبهذا التصوير البليغ الدقيق له ــ قد فتح للكتاب طرقا كثيرة مستقيمة الى العقول والقلوب ، وجعل له فى الناس شهوة يتشهونها لكل متعة من متع الجسد ، أو رغيبة من رغائب النفس والروح ، فيجدون فى طلبها ، ويبالغون فى الحصول عليها .

ولا نكذب الواقع اذا نحن عزونا الى الجاحظ ، والى هذا الأثر الخالد الذى تركه فى وصف الكتاب بصفة خاصة ــ فضلا ظاهرا فى خلق تلك الحركة القوية الدائبة التي شملت الحياة الأدبية فى عصره ، والتي كان جمع نفائس الكتب واقتناؤها واستنساخها اللون الغالب فيها ، لا فرق فى ذلك بين الخاصة والعامة ، ولا الأدباء وطلاب الأدب .. وكان من ذلك ظهور تلك المكتبات العامة والخاصة التي عمرت بنفائس الكتب ، ومذخورات العلوم والفنون عند العلماء والأمراء والوزراء والقادة ، فضلا عن الخلفاء وأبناء الخلفاء ، وكان وصف الجاحظ للكتاب ــ على ما نحسب ــ هو الذى أغرى الناس باقتنائه ، وعده ذخرا كريما يكسب من يضمه اليه مجدا وشرفا ان يكن قد أعياه اطلاع منازل المجد والشرف ، على **حين يزداد به أصحاب الوجاهة والعزة وجاهة وعزة .**

ولا نريد أن نعرض هنا تلك الرائعة من روائع الأدب العربي الجاحظي في وصف الكتاب ، فهي أشهر من أن يدل عليها عند كل من اتصل بالأدب العربي من قريب أو بعيد .

ولكن الذى أريد أن أحدث لك منه ذكرا من أمر هذه الرائعة الجاحظية هو

أنها على ما ضمت عليه من آيات البلاغة وسطوة البيان لم تبلغ غاية الوصف الحق للكتاب .. فالكتاب شيء عظيم ، يقصر عنه كل وصف ، ويستخزى دونه كل واصف ، ولو كان الجاحظ فى بيانه المبين ، وبلاغته البليغة المشرقة ! .

ولا تعجل فترمي بكلمة « الغرور » اذ تحسب أننا نريد أن نتناول القلم من يد الجاحظ فنسطر به وصفا للكتاب خيرا مما سطر ، ونرسم به صورة للكتاب أحسن مما صور ، حتى نقيم من ذلك الوصف الذى قلنا ان الجاحظ لم يبلغ به ما ينبغي أن يوصف به الكتاب ! .

وكلا ، فما تحدثنا النفس بشيء من هذا أبدا ونحن فى مواجهة أدب الجاحظ ــ ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه ولكن هذا لا يمنعنا من أن نقرر أننا نجد بين أيدينا صورة للكتاب تقف منها الصورة الجاحظية موقف الحصا من الدر ، والتراب من الذهب ، والأرض من السماء .

ومهلا مرة أخرى ، ولا تلق بكلمة « الجهل » حين يكبر فى صدرك أدب الجاحظ ــ وهو أهل لأن يكبر وأن يعظم ــ فتقول وهل وراء بلاغة الجاحظ بلاغة ، وهل فوق بيانه بيان ؟ .

ولا نريد أن نعطيك الجواب على هذا ، فهو متروك لك تضعه ايجابا أو سلبا ، بعد أن نفرغ معا من هذا الحديث .

منزلة القلم فى القرآن

ذكر القرآن الكريم « القلم » في موضعين منه .

المرة الأولى .. فى أول آيات استفتح بهن الوحي الالهي الرسالة الاسلامية « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .. فهذه الآيات الكريمات هن أول دفعة من دفعات غيوث الرحمة التي تنزلت من السماء .. هدى ورحمة للعالمين .

وأنت ترى أن أول كلمة من كلمات السماء تقدمت هذا الموكب العلوى الالهي هي كلمة « اقرأ » ولواحقها ، ثم تلتها كلمة « خلق » وتوابعها ، ثم كلمة « علم بالقلم » ... فالقراءة ، والخلق والتعليم بالقلم هن طلائع هذا النور الالهي ، وهن رائدات هذه الحملة السماوية المرسلة من رب الناس الى الناس ، وما في محاميلها الا الخير والرحمة والنور .

والقراءة لا تكون الا من كتاب ، والكتاب لا يكون الا مما يسطر ويخلق القلم !

وكما خلق الله سبحانه وتعالى كل شيء بالكلمة « انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون » وكما خلق جل شأنه الانسان ، وأنشأه على تلك الصورة الكريمة .. من علق .. من نطفة .. من ماء مهين كذلك يخلق الانسان بالقلم الذى وضعه الله تعالى في يد الكاتبين من عباده ، وأقدرهم على التصرف به ــ كلمات سويات الخلق ، تخلقن من رؤى ، وخواطر ، وأمشاج مختلطة من الرؤى والخواطر .. فكنّ علما ، وكنّ حكمة ، وكنّ أدبا !

ولا تنظر الى علم اللسان ، وما تتحرك به الشفتان فهو من وراء علم القلم ، ومن جنى ثمره ، وداني قطوفه .. اذ أن علم

القلم هو العلم الذى يمسك بأحسن معطيات العقل وأكرمها .. انه العلم الذى يأتي عن روية ، وتدبر ، وتفكير .. انه العلم المنخول المتخير الذى يتخلى عن الرأى الفطير الذى لم ينضج ويتجاوز سقط الكلام وسفسافه ، ولا يرضى من صاحبه ان يمسك به الا على حذر واشفاق من أن يخط بيمينه ما يسجل عليه الحماقة ، والسخف والجهل ، ففي ذلك عار الدهر ، وسبة الأبد ، وخزى الوالد وما ولد ! اذ أن ما يخطه القلم من زين أو شين ، وما يسطره من حسن أو قبيح هيهات أن تمحوه الأيام ، أو تذهب به السنون .

القلم عصمة لصاحبه

ان القلم هو عصمة لصاحبه من كثير من الهفوات والسقطات والعثرات ، وما عثر صاحب قلم مرة الا كان عثاره بلسانه أضعاف ذلك مرات ومرات .

وقد يبدو القلم عند كثير من الناس أنه مجرد أداة عاملة متحركة فى يد الكاتب بلا تقدير ولا حساب ، يضرب به يمينا وشمالا حسبما يشاء ، دون أن يعوقه عائق أو يصده عن ذلك صاد .

وكلا .. فان القلم رقابة حكيمة واقية ، تدفع عن الممسك به كثيرا من الزلات والعثرات التي كان جديرا أن ينزلق اليها لو أنه أسلم نفسه لمعطيات لسانه ، ووصل شفتيه بما يجرى فى خاطره .. فحين يمسك صاحب القلم بالقلم تجتمع اليه خواطره المشتتة ، ويضيء اليه رأيه العازب ، ويتعطل لسانه عن الثرثرة ، ان كان من أصحاب الثرثرة ، ثم اذا خط بالقلم شيئا ، وصور به فكرة أو رأيا رأى هذه المخلوقات التي صورها رأى العين ، وعرف وجوه الحسن والقبح منها ، وكان له على ذلك السلطان المبين .. فله أن يمحو ما يشاء ويثبت ، وكان له أن يعدل ويبدل من خلقها ، حتى تستقيم فى نظره على أحسن ما يمكن أن تسمح به قدرته وصفته .. وليس كذلك ما ينطق به اللسان ، اذ لا سبيل الى اعادة النظر فيه ، وتقليب وجوه الحسن والقبح منه .

وأريدك أن تستحضر هنا صورة هذه الأسراب الطائرة الى معاهد العلم من مطلع الصباح ، وبين يدى شعاعات النور التي تتقدم موكب الفجر .. من كبار وصغار ، ومن بنين وبنات .. تجد أنها انما تنهض جميعها بجنا حين .. أحدهما القلم ، والآخر الكتاب .. ولو ذهبت تجرد أى طائر منها من قلمه أو كتابه لقعد فى مكانه ، مهيض الجناح ، كسير الخاطر ، ولما كان له الى مناهل العلم غدو أو رواح ! .

وأريدك مرة أخرى أن تنفذ بعيني خيالك الى حجرة من حجرات الدرس فى مدارس الطفولة .. انك لتجد الأقلام تتحرك بين تلك الأنامل الرخصة الدقيقة اللطيفة ، فتخط على الورق رؤى الطفولة وأحلامها وترسم على القراطيس نزعاتها ورغباتها .. فى أمانة وصدق ، لم يختلط بشيء من الصنعة والمداراة .

ان تلك الخطوط المتقطعة المضطربة هي عالم الطفولة كله .. فى باطنه وظاهره جميعا .. انها كتب مسطورة تحدث ـ من يحسن الاستماع اليها ـ بأبلغ حديث عن عالم الطفولة ، وما يموج فيه من ألوان وحبور .

وكذلك الشأن فيما بين القلم وبين من جاوزوا مراحل الطفولة ومبادىء العلم الى مراحل النضج العقلي والعلمي .. فما تخط أقلامهم هو الصميم من وجودهم،وهو النطف المصفاة من خلجات صدورهم ومسارب أفكارهم .

لهذا كان تنويه القرآن الكريم بالقلم على تلك الصورة التي تجعله مع أول كلمات منكلمات الله ، تستفتح بهن رسالة الاسلام ، ويكون مع اول كلمات يتلقاهن النبي الكريم من وحي السماء ! .

والاحتفاء بالقلم هذا الاحتفاء الكريم هو احتفاء ضمني بالكتاب ، اذ الكتاب هو الثمرة التي تمخض عنها القلم ، وألقى بحصاده كله فيها ، وانه ما كان للثمرة أن تطيب وأنتزكو الا اذا طابت نبتتها ، وزكت وبوركت شجرتها .

استمع الى قوله تعالى ، وقد ذكر القلم ذكرا ثانيا «ن والقلم وما يسطرون» مقسما به ، مع ذاتين غيره .. « النون » وهو حرف يمثل المقاطع التي تتشكل منها الكلمات ، ثم الذات الأخرى وهي « ما يسطرون » أى ما يسطر الكاتبون بأقلامهم ، وما يقيمون من كلمات بوساطة الحروف ، وضم بعضها الى بعض ..

فالحروف ، والقلم الذى يجمع هذه الحروف ويصورها ، والكلمات التي تجتمع مما يخط القلم والصور قد جاءت جميعها فى مقام التشريف والتكريم اذ أقسم الله سبحانه بها ، وكان القلم واسطة عقدها ، وناظم درها ، وجامع شملها .

والقسم من الله بمخلوقاته تشريف ، وتكريم لها ، وتنويه بها ، ورفع لذكرها !

ولقد أخذ بعض المستشرقين على القرآن الكريمأنه يضع اللهسبحانه موضع المقسم بمخلوقاته ، والقسم عادة يكون ممن هو أدنى بمن هو أعلى .. وبهذا لا يكون القسم الا بالله ، كما يصرح بذلك الا نجيل ..

ونقول وكذلك القرآن يجعل الحلف من المخلوقين بالخالق وحده دون غيره ، ويوصي بأن يكون ذلك فى اقتصاد ، واحتراز .. « ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس » .. ويقول نبي الاسلام « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » .

ولكن هذا شيء والقسم من الله ببعض مخلوقاته شيء آخر .. فلله وحده أن يعظم ، ويكرم ما يشاء من خلقه ، ويفضل على مايشاء من مخلوقاته، وعرضها فى هذا المعرض العظيم الكريم .. « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » .

(رسالة القلم)

ونعود الى القلم .. فنقول -

ان القلم الذى هو الوسيلة الى الكتاب شيء كريم على الله ، عظيم عنده .. فكيف بما يسطر القلم ويصور ؟ ان القلم انما استأهل هذه المنزلة الكريمة بما سطره .. والا فهو مجرد شيء لا يلتفت اليه ، ولا يؤبه له .

وتدبر هذه اللفتة السماوية الرائعة حقا ، والتي ألقت على حملة « القلم » امانة حفظه ، وحياطته من أن ينزل عن تلك المنزلة الكريمة الرفيعة التي رفعه الله اليها ، وأن ينحرف فى أيديهم الى مهاوى الضلال والفساد .. ولهذا أقسم الحق سبحانه بما يكتب الكاتبون « والقلم ومايسطرون » فهذا الذىيسطرهأصحاب

«القلم» أو الذى ينبغي أن يسطروه يجب أن يكون شيئا عظيما طيبا، نافعا يستأهل هذا التشريف والتكريم من رب العالمين فيصبح فى عداد الاكوان العظيمة التي تتعرض لمنازل التشريف عند الله، وتكون فيما يقسم به منها وهذا يعني أكثر من حكمة ..

فأولا : ـ أن يعرف صاحب القلم أنه انما يحمل أمانة عظيمة ، ينظر اليها الله كأعظم وأكرم نعمه التي أنعم بها على عباده ، وأن عليه لكي لا يحسب في خائني الأمانات أن يرعاها حق رعايتها ، وأن يحفظها من كل سوء يعرض لها .

ثانيا : ـ أن يذكر صاحب القلم ما لهذا القلم فى يده من رسالة كريمة فى الحياة ، وأنه بهذه الرسالة كان أول محمول من السماء الى الأرض فى رسالة الاسلام ، ليشارك فى بناء مجتمع انساني معافى من العلل والآفات النفسية والروحية والعقلية ، بما يفتح للناس من سبل الحق ، والعدل ، وما يرفع لهم من معالم الهدى والنور .

فاذا لم يستقم صاحب القلم والممسك به على هذا الوجه الذى يحفظ للقلم جلاله ، وبهاءه ، واذا لم يسطر به ما ينظر الله اليه فيجده على الكمال والتمام الذى يستحق به أن يدخل مدخل ما أقسم به مما يسطر القلم ، فقد خرج صاحب القلم من زمرة الكرام الكاتبين ، وسقط من يده هذا القلم الكريم الذى أقسم الله به ، وبقيت فى يده قطعة من خشب أو معدن يسود بها وجوه الورق الأبيض !..

ونعود الى سؤالنا الذى تركناه آنفا هل وراء بلاغة الجاحظ بلاغة ؟ وهل فوق بيانه بيان؟ واننا لنظلم « الجاحظ » ونظلم كل كاتب اذا نحن عرضنا أدبه وكتابته فى مواجهة آية من آيات الله ، أو كلمة من كلماته !.

وندع الجاحظ وما كتب فى الكتاب !

ونقف بين يدى هاتين الكلمتين من كلمات الله ، وقفة خشوع وخضوع « والقلم وما يسطرون » .. ففي كلمتين اثنتين جمع القرآن رسالة العلم والعلماء فى الحياة .. فى أكرم صورة يمكن أن ينجلي عنها علم العلماء ، وفى أطيب موقع يمكن أن يقع من الحياة .

ونظر فنجد أن القلم على جلاله وعظمته ليس فى ذاتيته قدرة يملك بها أمر الكاتبين فيحول بينهم وبين أن يعدلوا به عن غاياته الكريمة ، وأن يستملوه من مداد آسن آثم ، وان يسطروا به المآثم والشرور ، فكم سجل التاريخ لأصحاب الأقلام من ضلالات وانحرافات ، وكم شقي الناس بما أذاعت فيهم مسطورات الأقلام من افك وبهتان ؟

ولقد نعى القرآن الكريم على أولئك الذين يخونون أمانة القلم فيخطون به الزور والضلال ، ويزينون به الاثم ، ويحرفون به الكلم عن مواضعه .. فقال تعالى « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون ».

فليذكر أصحاب الأقلام أن فى أيديهم آية من آيات الله ، وأن من شأن هذه الأقلام أن تكون معجزات تنفجر منها ينابيع الخير والهدى ،فان مكروا بها مكر الله بهم ، ولا يحيق المكر السيىء بأهله .

لا تحتقر الطين

للاستاذ عبد العزيز العلي

لقد اقتضت حكمة البارى جلت عظمته أن جعل ملائكته الكرام من نور ، يملأ كل حيز مفتوح للنور ، وينفذ من كل نافذة مفتوحة لاستقباله ، وخلق الشيطان من مارج من نار ، يمثل الظلام الذى يحل تلقائيا فى كل مكان مغلق عن استمداد النور ، ثم خلق الانسان من سلالة من طين : أى جهاز طيني قابل لاستمداد النور واشعاعه ان ذكَر وصلح ، والعكس ان غفل وفسد ، ومعلوم ما هو حاصل من التخالف بين النور والظلام كسنة كونية .

والملائكة الكرام يغارون الا يقدر الله حق قدره ، ويسبح حق تسبيحه ، ويقدس حق تقديسه بغفلة مثل هذا الانسان الحيادى الوسط ذى القابليتين والمجال الأول للطاقتين المتضادتين ، فيغلق نوافذه عن النور ، فيهوى الى الفساد والافساد فى الأرض ، ويسفك الدماء ، وقد ظهر ذلك من الحوار بين الله وملائكته فى هذه الآية « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال اني اعلم ما لا تعلمون » .

التقدم العلمي ميزة الانسان

كما ظهر من الامتحان العلمي الذى نجح به آدم فى الملأ الأعلى بعد ذلك أن لدى هذا المخلوق الآدمي ناحية ليست موجودة لدى الملائكة الكرام ، وهي التقدم العلمي والتطور الفكرى ، وان للانسان تصرفا وطموحا ، وأنه ينشد الكمال ، ويحارب الحرمان ، فاذا لم يخرج به ذلك عن انسانيته الجزئية فى هذا الكون فانه يسمو على الملائكة فضلا عن المخلوقات الأخرى ، فامر الله ملائكته الكرام بالسجود لآدم تقديرا للخير الذى نجح به ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستنكف ابليس مع سقوطه فى الامتحان العلمي اعتزازا بناريته واحتقارا للطينة الآدمية « فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا » « قال انا خير منه

خلقتني من نار وخلقته من طين » فطرده الله من رحمته .

ومن الغريب أني أرى البعض يحتقرون الطينة الآدمية باسمها احيانا وباسم المادة احيانا اخرى اعتقادا منهم ان فى ذلك تقربا الى الله، والذى يظهر مما تقدم ان الذى يحتقر الطينة الآدمية يحاكي الشيطان فى فعلته ويستحق البعد والعقاب او التنبيه والعتاب وفى قصة آدم عليه السلام ما يوضح ذلك :

بينما كان أبونا آدم عليه السلام غارقا فى طموحه وتفكيره متجاوزا انسانيته المحدودة ، متسائلا عن أمور ثلاثة حرم منها كانسان مخلوق طيني له ملكية محدودة ، وله عمر محدود ، ويجب أن تكون له أنظمة وقوانين يلتزم بتطبيقها وهذه الأمور الثلاثة :

١ ــ لماذا لم يكن كالملائكة فى نورانيتهم وانطلاقهم ؟ .

٢ ــ لماذا ينقص عمره فى كل يوم يمر عليه ؟

٣ ــ لماذا حرمت عليه هذه الشجرة الواحدة ؟ .

فكانت نظرته أنانية بحتة متجهة نحو الحرمان ناشدة الكمال ، اذ لو ارتفع بتفكيره لما احتقر الآدمية التي امر الله من فى الملأ الأعلى بالسجود لها ، كما أن الخلود لا يكون الا لله وحده ، وان كامل الملك لا يكون الا لله كذلك ، فكانت لآدم فترة غفلة عن استقبال النور « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما » استغلها الظلام كسنة كونية ليحقر الطينة عنده ويخلصه منها ويغريه أيضا بتحقيق الحرمانين الآخرين وهما ــ ادخال الشجرة الواحدة فى ضمن ملكه الواسع واباحة الأكل منها ، ومعرفة فلسفة تحريمها والأمر الثاني أو الثالث هو الخلود ، وقد اخبرنا القرآن عن ذلك « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين او تكونا من الخالدين » . « قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » .

فى معترك الحياة

ونرى ان الله جلت حكمته انتصر للآدمية الصالحة فى جميع المواقف اذ أمر الملائكة الكرام بالسجود لآدم ، وعاقب الشيطان بالطرد من رحمته عندما احتقرها وامتنع من السجود ، وعاتب آدم نفسه عندما فكر فى التخلص من الطينة بالهبوط الى الأرض ليؤدى هو وذريته الامتحانات العلمية المتواصلة المقرونة بالايمان والتقوى ، فالناجح فى تسخير الأرض واكتشاف كنوزها وخباياها وفي سبر اغوار الفضاء ومعرفة اسراره الكونية يفوز بجنة الخلد والنعيم المقيم والراسب فى مختلف شؤون الحياة من علمية وعبادية أمره الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه .

وان من يتأمل فى المخلوقات الثلاثة الايجابي والسلبي والحيادى قد يخطر له ما خطر لي من المقارنة بينها وبين عناصر الذرة التي تتكون منها المخلوقات فى الأرض وفى السماء وهي ــ البروتون ايجابي ، والالكترون سلبي والنترون حيادى ، ولولا اختصام الملأ الأعلى لأصبح الجميع ايجابيين وتعطلت التقدمية العلمية التي فضلها الله ، وانتصر لها

فى جميع المواقف ، وتعطل بقاء الانسان فى الوسط الطبيعي بين السلب والايجاب ليؤدى رسالته .

والنفس هي مناط الخير والشر فى مصيرها ومصير الجهاز الآدمي ما وجدت فيه وتفاعلت معه ، وحكمها فيما يظهر لي كحكم سائق السيارة ان احسن امساك المقود ، ولزم الطريق السوى وتحاشى الاصطدام بحدود استطاعته قد ينجو وتنجو السيارة والعكس بالعكس .

وبانفصال النفس عن الجسم ينقطع عمل الانسان الا مما قدمه من خير او ما خلفه من أثر طيب كصدقة جارية وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له ، وكل من مات ندم على عمل الشر وعدم الاستزادة من الخير . « ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله » .

ولذلك يجب الا نسقط دور الجهاز الطيني فى مقبل حياتنا الاخروية أو أن نقلل من أهمية المرحلة الأرضية التي تجتازها نفوسنا من خلال اجهزتنا الفانية التي تترتب عليها ، كما يجب علينا بمقتضى انتصارنا العلمي عند اختصام الملأ الأعلى ان نستغل كياننا الآدمي بكل امكانياته لنحقق من الخير ما ميز الله به آدم على سائر المخلوقات وفى الحديث الشريف « ان الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض وحتى الحيتان فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير» وفى الأثر عنه صلى الله عليه وسلم « لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » . « ومن تساوى يوماه فهو مغبون » .

وعلى ضوء ما تقدم أهيب برجال العلم والمعرفة ألا يحتقروا الآدمية التي نصرها الله فى الملأ الأعلى وفى جميع المواقف بالعلم الخير ، والعلماء مهما مالوا او انحرفوا فى البداية فلا بد من الاستقرار للعلم الصحيح على الايمان لقوله جلت حكمته « انما يخشى الله من عباده العلماء » وقوله سبحانه « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط » وقوله جل شأنه « وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون » نعم سيقول العلماء بعد ما يتبين لهم الحق لقد درست يا محمد بمدرستك الربانية .

عن نصيح العنسي عن ركب المصرى قال . قال رسول الله صلى **الله عليه وسلم :**

« طوبى .

لمن تواضع فى غير منقصه

وذل فى نفسه من غير مسألة

وأنفق مالا جمعه فى غير معصية

ورحم أهل الذل والمسكنة

وخالط أهل الفقه والحكمة

« طوبى .

لمن طاب كسبه ، وصلحت سريرته ، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره.

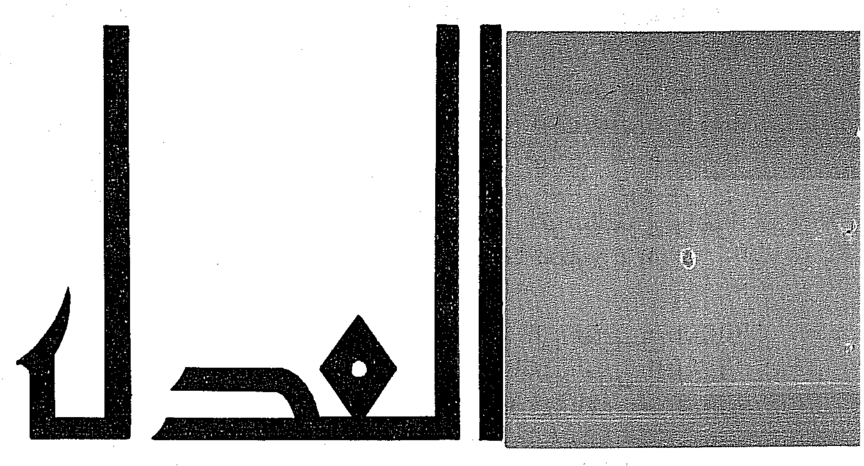
« طوبى .

لمن عمل بعلمه

وأنفق الفضل من ماله

وأمسك الفضل من قوله

« **رواه الطبراني** »



الآية بالتمسك بالعدل واقامته وحذر الانسان من أن ينحرف عن هذه القاعدة السليمة أو أن ينحدر عن هذه الاستقامة، فيقول تعالى (الاّ تطغوا فى الميزان) (١) وتثبيتا للغاية المثلى أمر سبحانه فى الآية التالية بالتخصيص الدقيق والافهام القريب فقال تعالى (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) (٢) فكان هذا التنبيه نهاية المطاف لزجر النفس عن الهوى .

العدل فوق العاطفة

والشريعة الاسلامية تفهم الناس أن العدل من الأمور التي أوجبها الله على عباده ، وجعل صلاحهم مقيدا بها ، وتعلمهم أنه لا يمكن أن تصلح نفوسهم ولا أحوالهم الا باقامتها (قل أمر ربي بالقسط) (٣) (انّ الله يأمر بالعدل) (٤) . ولعلّ القارىء يدرك ما فى هذا الاخبار والأمر من عظات بالغات ، ولقد عني الاسلام عناية فائقة فى تركيز العدل في النفس ، وتوضيح المواقف التي قد تؤثر على الانسان بسبب العاطفة أو الهوى ، وأمر بعدم الانسياق فى تيارها ، فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط ، شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنياً أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فانّ الله كان بما تعملون خبيرا) (٥) واذا كان الانسان شاهدا على نفسه محاسبا لها ابتعدت عنه الأنانية ، وحينما يكون شاهدا على الوالدين والأقربين بالحق يبتعد عنه تأثير العاطفة القوية والصلات الوثقى التي قد تميل به مع الهوى ، ولذلك كله يحيط الاسلام الانسان بكثير من التحذير والتنبيه حتى لا يقع فريسة لاتباع الشهوات ، ولقد أدرك الاسلام تأثير العداوة والبغضاء والحسد فى نفوس الناس ، فنبّه الى أن العدل حق مفروض يجب ألا ينحرف الانسان عنه بسبب دخائل فى النفوس أو ضغائن فى القلوب فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله انّ الله خبير بما تعملون) (٦) .

وينظر الاسلام الى تطبيق أحكام العدل نظرة فيها الكثير من التدقيق والملاحظة الصائبة (انّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل انّ الله نعمّا يعظكم به انّ الله كان سميعا بصيرا) (٧) ثمّ يبيّن للناس انّ عليهم ان يراقبوا أنفسهم ، تجاه حقوق الناس (وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا) (٨) .

والاسلام يدرك أن تطبيق العدل من أصعب الأمور وأجلها وأكثرها دقة، ولهذا نرى الشريعة دائما توجبة ، وتذكر به ، لتفهم النفوس عظم مهمته ، وكثيرا ما تقرن ذلك بالتحذير من الانزلاق والميل عن الصراط السوى ، وتضرب الأمثال لشطط الانسان ، وتؤكد بأنّ الانسان خطاء ولكن تحذره من أن ينحرف فى هذا الخطأ ، فيتخذه طريقا ، فتأمر بالتراجع الى الحق والصواب ، وتوجب ذلك وجوبا قطعيا لا هوادة فيه قال تعالى (وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوّروا المحراب . اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط . انّ هذا أخي

---

(١) سورة الرحمن . (٢) سورة الرحمن . (٣) سورة النساء ، آية ١٣٥ .

(٤) سورة المائدة ، آية ٨

(٧) سورة النساء ، آية ٥٨ . (٨) سورة الاسراء ، آية ٣٥

له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزّني فى الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وانّ كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظنّ داود أن ما فتنّاه فاستغفر ربه وخرّ راكعا وأناب . فغفرنا له ذلك وانّ له عندنا لزلفى وحسن مآب . يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله انّ الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) (١) .

وهكذا تصور لنا هذه الآيات خطأ الانسان وتسرّعه ولو كان خليفة الله فى أرضه ونبيّه . ولكن الآيات تقرّر شيئا آخر وهو أن النفوس الأبية قد طبعها الله على حب العدل والتمسك به ، فلا تستقرُ على الجور ، بل لا بدّ من محاسبة النفس والرجوع الى الصواب .

العدل الالهي

والعدل الرباني لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الاّ أحصاها (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرّة شرا يره) (٢) والآية تشير الى يوم القيامة ولكن الذى ندركه هي تلك الدقة المتناهية فى الحساب العادل الذى لا يفرط فى شيء مهما كان ضئيلا .

ولقد أبان القرآن نظرية من أعظم النظريات القيّمة أوضح فيها منزلة العلم وأهله ومعرفتهم بناموس العدالة الربانية الذى اكتملت الأشياء به قال تعالى (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط) (٣) ولعمرى انها أعظم شهادة وأحراها بالتفهم والاعتبار . وهذه الشهادة العليا تعطي بيانا جليا للعدالة الشاملة التي تحيط بنا فى نظام الكون وتسييره .

والعدل قبل هذا مهمة نفسية لن تكتمل سعادة النفوس الاّ بأدائها ، أما النفوس الكريمة الراقية فلا يهدأ لها بال ، ولا يقرُ لها قرار اذا ما مالت أو انحرفت ولو بعض شيء حتى ترجع الى الانصاف والحق ، معترفة بالخطأ والتقصير ، منيبة مستغفرة ، وبعكس ذلك النفوس التي انحطت الى درك الحيوانية ، بل أسفل ، فجمعت مركبات النقص ، وسيطر عليها الحقد الدّفين ، وأعماها الشره والبطر ، واستحوذت عليها شهواتها ، فعميت عن سبيل الحق والعدل ، وسارت فى طريق عمايتها همها الجرح والاضرار .

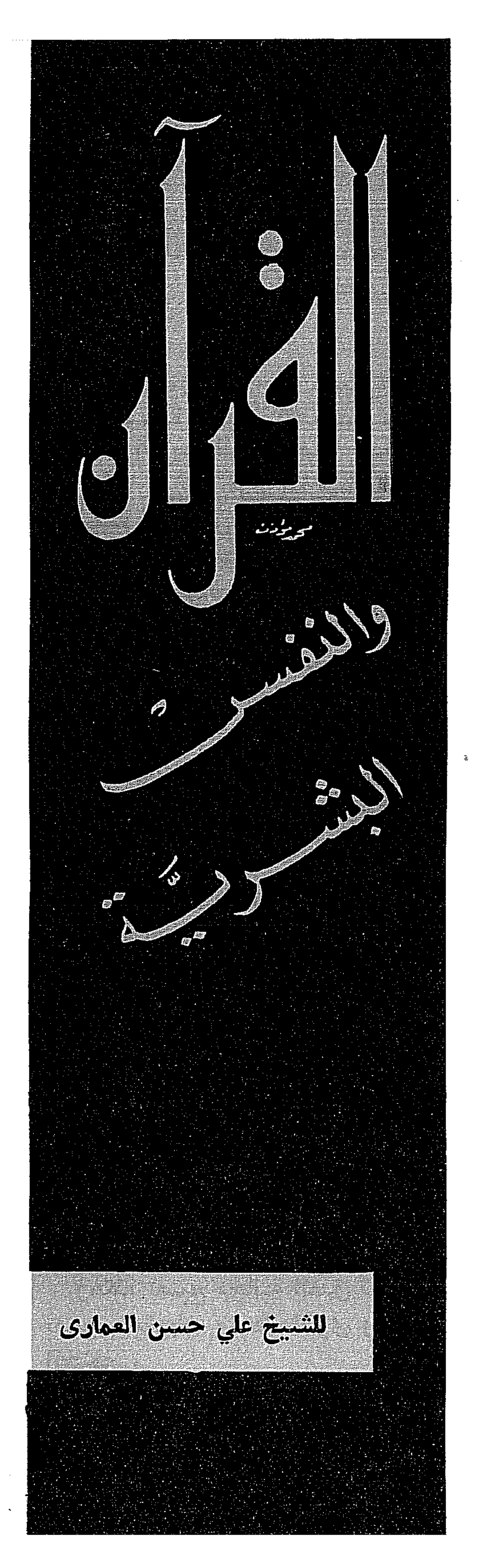
لو تتبعنا أسباب انهيار الأمم وتحطم الشعوب لوجدنا أنّ أهمّ ذلك فقدان العدل وظهور الجور . فكم مجتمع تحطم كيانه ، وفقد حيويته بفقدانه العدالة ، وكم دولة انفرط عقدها ، وضعفت صولتها ، وأصبحت لقى فى مهب الرياح بانعدام العدل فيها ، وكم بيت ترفرف عليه السعادة وتحوطه العناية فقد اطمئنانه بفقد العدل بين أفراده .

وهكذا تصبح مجانبة العدل سببا فى تدهور المعنويات وتحطم القوى وتأخر المجتمع .

---

(١) سورة ص آيات ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) سورة الزلزلة آية ٦ ، ٧ .



١ ــ القــرآن

كتاب الله ، ومعجزة خاتم أنبيائــه ، أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وقد جاء موعظة من الله ، وشفاء لما فى الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين .

هدى الناس الى طريق الحق ، وشفى صدورهم مما فيها من عداوات واحن ، وطهر قلــوبهم مــن ضــلالات الشرك ، وحماقات الأهواء .

نزل بالحق ، ونطق بالصدق ، وتحدث فكان أحسن الحديث (ومن أصدق من الله حديثا) (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشــون ربهم ثم تلــين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هــدى الله يهدى به من يشاء) .

شرع الله فيه من الدين ما وصى بــه نوحا والنبيين من بعده وما وصى بــه ابراهيم وموسى وعيسى ، وأودع فيه من سياسة الدنيا ما يضمن السعادة والأمن ، والطمأنينة والسلام للمؤمنين .

فيه كما قال الرســول عليه الصلاة والسلام : « نبأ من قبلكم ، وخبر مــا بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصــل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضــله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلــق على كثرة الــرد ، ولا تنقضــي عجائبه ، وهــو الذى لم تنته الجــن اذ سمعته أن قالوا : انا سمعنا قرآنا عجبا ،

من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » .

بيّن فبلغ الغاية فى البيان ، أوجز حيث لا يحمد الا الايجاز ، وأطنب فما جاء الا بالاعجاز ، وتحدى فما طمع فى الاتيان بمثله ، أو بأقصر سورة منه انس ولا جان .

وناجى فسرى مسرى الحياة الى القلوب ، وأسمع فارتعدت الفرائص ، وتجافت عن المضاجع الجنوب ، وعد المؤمنين بالجنان والحور ، وأوعد الكافرين بالويل والثبور ، وأخرج الناس من الظلمات الى النور .

وهو — فى كل ذلك — يسوس الغرائز والطبائع سياسة الحكيم الخبير ، ويوجه الميول والنوازع توجيه العالم البصير .

تلاوته راحة النفس ، ومدارسته البهجة والأنس ، والتأمل فى معانيه يشيع السكينة فى الخواطر المضطربة ، ويرفع الشكوك عن الهواجس القلقة ، ويغمر بالرضا واليقين قلوب المؤمنين المخلصين (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الا بذكر الله تطمئن القلوب) .

٢ — تعرَّف نفسك —

ليس عالم النفس بأضيق دائرة ، ولا بأقل عجائب وغرائب من عالم المشاهدة والحس .

فلئن كان المتأمل اللبيب يرى فى مجالي الطبيعة ، وفى آفاق الكون من عجائب الصنع ، ودلائل القدرة ما يقف أمامه حائرا مأخوذا ، ثم يعود بعد أن يفيق من سبحاته — ان كان سليم الوجدان — مؤمنا عميق الايمان ، مسلما وجهه للذى فطر السموات والأرض .

لئن كان يرى كل ذلك فيئول أمره الى الاذعان والتسليم ، لانه حين يسبح بفكره الثاقب فى آفاق النفس ، يكتنه أسرارها ، ويتلمّس خفاياها يرى ما هو أدق وأعجب ، وأسمى وأروع ، وأدل على قدرة الصانع ، وأشهد على حكمة الحكيم .

ومنذ عهد سحيق فى التاريخ اهتدى أحد فلاسفة اليونان الى أن السبيل الوحيد الى العلم والمعرفة ، والى الفضيلة والخير أن يعرف الانسان نفسه ، ولذلك كتب على جبين معبده هذه الكلمة الخالدة : (تعرَّف نفسك بنفسك) .

فمراقبة النفس ، وملاحظة ما يجرى فى داخلها ، والتعرف على غرائزها ، وطبائعها ، ونزعاتها وميولها ، وعواطفها وقواها ، كل ذلك يمكّن صاحبها من أن يعلم الحقائق الكبرى فى الحياة ، ويدرك كنه الخير والشرّ ، والعلم الصحيح سبيل اليقين الثابت ، ووسيلة الخلق الفاضل ، ومعرفة النفس أمر ضرورى لأى منهج يهدف الى تربيتها ، ولأى قانون يوضع لتقويمها ، وتهذيبها ، ولا فائدة من أى عمل أو نظام يقصد منه الاصلاح والتقويم ما لم يكن أساسه دراسة النفس .

وكلما ازداد الانسان علما بنفسه ، ووقوفا على ما يصحها ويمرضها ، وما ينبغي أن تقبل أو تدع كان أقدر على تهذيب أخلاقه ، وعلى التأثير فيمن حوله .

ولقد عرض القرآن الكريم لهذه القضية الكبرى فى مواضع ، ولكنه كان ـ كما لا بد أن يكون ـ أهدى سبيلا ، وأقوم طريقا ، وأحسن تأتيا ، وأوضح غاية ، وأنبل مقصدا .

جاء فى سورة (فصلت) قوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » .

وقد كانت هذه الآية توجيها لأنظار غفلت عن قدرة الله ، ولعقول ضلت الطريق الأقوم .

فبعد أن وصفت الآيات السابقة ما عليه الانسان من دءوب على طلب الخير ، ومن يأس وقنوط ، اذا مسّه الشر ، ومن كبرياء وجحود واعراض اذا بدّل الله ضره رحمة ، وبعد أن أشير الى أن القرآن حق ، وأنه من عند الله ، وأن الضالين حقا هم من لم ينظروا فيؤمنوا عن دليل ، أو يجحدوا عن برهان « قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد » . بعد كل ذلك توعدَّهم بأنه سيهريهم آياته فى الآفاق فيشهدوا انتصار الدعوة المحمدية بعدد قليل من المسلمين يتغلبون على دول ذات عدة وعدد ، وحين يرون هذه العجائب فى نشر الدعوة على أيدى فئة قليلة يدركون مدى ما تصنع قوة الايمان ، ويتبين لهم أن دين الاسلام حق،وان الثبات والاستقامة هما صفة الحق والصدق ، والاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور ، وأن للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ـ كما يقول جار الله الزمخشرى .

ولئن كان كثير من العلماء حملوا (آيات الأنفس والآفاق) على ما يتصل بالدعوة ، والقرآن ، والايمان بالله ، والبعث ، فان الآية مطلقة ، وهي تنبيه للغافلين على النظر فى ملكوت الله ، وعلى البحث فى أعماق نفوسهم ، فانهم سيرون من آيات الله ما ينتفي معه الشك فيما جاء به الرسول ، من الدين والحق ، والكتاب العربي المبين ، وما أوعد به من البعث للحساب والجزاء .

وفي كل شيء له آية
تدلُ على أنه الواحد

ثم كانت آية (الذاريات) « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » أدل على التنبيه، بل على التعنيف .

وقد سبقها قوله تعالى : « وفى الأرض آيات للموقنين » وجاء بعدها « وفى السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون » .

ففي الأرض آيات ، وفي الأنفس آيات ، ولكنها ليست آيات للكسالى عن النظر ، الغافلين عن عجائب صنع الله ، ولا لمراض القلوب ، ضعاف الأفهام ، بل هي آيات واضحات للذين ينظرون فينعمون النظر ، ويقبلون على تعرف ما أودع الخالق فى عالميهم الظاهر والباطن ، بوجدان صادق ، ونفوس راغبة فى الوصول الى أقصى درجات اليقين .

ولعل النظر فى ظواهر النفوس من اختلاف الألسن والألوان ، ومن دقائق التركيب فى الخلقة ، وعجائب اللطف فى الحواس ووظائفها التي لا يكاد التأمل فيها ينتهي الى غاية ، وربما أشار الناظر الى روائع منها ، وان كانت لا تعد شيئا

بجانب ما فيها من جلائل ، كما قال ابو العلاء المعرى : —

أمـا يرى الانسـان في نفسه
آيـات ربٍّ كلهـا غـرُّ
في فمـه عذب وفـي عينيـه
ملـح ، وفـي مسمعه مـرُّ

أقول لعل النظر فى كل أولئـك أيسر على الدارس ، وأهون على المتأمـل مـن النظر فيما ركب في النفوس من عجائب الفطر ، وما ركـز فيهـا من مخيـّلـة ، وحافظة ، وذاكرة ، وما تزخر به من عواطف وانفعالات .

والنفس الانسانية — على الرغم مـن الجهود الكبيرة التي بذلت لدراسـتها — لا تزال مجهلا يعيي السالكين مهما أوتوا من معرفة وبصر وقوة .

بل ان علم وظائف الأعضاء وهو يعتمد على التجارب الحسية لا يزال يكتشف كل يوم جديدا ، فما بالنا بعلم النفس ، وهو انما يعتمد على التجارب المعنوية .

ان ما توصل اليه علماء التشريح مـن وظائف عضو واحد ليحير أنفذ العقـول ذكاء ، ويهدى أقوى المعاندين جحودا ، فقد قرأت مقالا عن الكبد ، ووظائفه فى جسم الانسان لعالم من علماء التشريح ، وكان ممـا ذكـره الكاتب أن الوظائـف المعروفة للكبد حتى الآن تبلغ الخمسمائة .

ان الانسان ليعجب أن يكون من بـين من يقرأ هذه المعارف ، أو من يتوصـل اليها بعلمه وعقله من ينكر وجود الله !

ومن الآيات التي دعت الى البحث في أعماق النفس قولـه تعالى في سـورة الروم ((أو لم يتفكروا في أنفسهم مـا خلق الله السموات والأرض الا بالحـق وأجل مسمى)) .

فهذه دعوة صريحة الى التأمل والتفكر ، واطالة النظر في ثنايا النفس ، لأن هذا الدرس سيهديهم حتما — ان انتفعوا بما علموا — الى أن الله وحده هو الذى خلق السـموات والأرض ومـا بينهما ، وانه خلقهما بالحق ، فلم يخلقهما باطـلا ، ولا عبثا ، بل خلقهما لغرض صحيح ، وحكمة بالغة ، وأن لهذه المخلوقات أجلا معلومـا تنتهي اليه ، كما تنتهي نفوسهم الى وقت معلوم ، غير أن الكثرة الكاثرة من النـاس لا يتفكرون فى أنفسهم فيبقون فى ظـلام الجهل بما أودع الله فيها ممـا يدل على عظيم حكمته ، وكامل قدرتـه ، ويظلون بعيدين عن اليقين بالله وبالبعث ((وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون)) .

وهكذا يتضح لنا جليا أن الغرض من الدعوة الى التفكر فى النفس انما هو الوصول الى الحقيقة الكبرى ، وهي خلق الله تعالى لهذا العالم ، وعلى هذه الحقيقة تترتب حقائق أخرى يتحتم الايمان بها ، ومنها لقاء الله الذى لا ريب فيه .

كما يتضح لنا المدى الواسـع بـين هدف الفيلسوف اليوناني القديم من دعوته لمعرفـة النفس ، وهدف القرآن الكريم .

ولما كانت الفطـرة التي أودعها اللـه نفوس خلقه هي القـوى الأولى المنبثـة فيها ، وكانت معرفتها على وجهها الصحيح هي العامل الأوحد فى تنشـئة الأفـراد والجماعات على الخير والحق ، كان لزاما على كل من يتحدث عن النفس البشرية أن ينظر فى هذه الفطرة .

وموعدنا بهذا النظر مقال تال ان شاء اللـه .



الى الرجال

((يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفورا رحيما)) .

(قرآن كريم ـ الأحزاب ٥٩)

عز الايمان

لقد كنا أذلاء فى الجاهلية ، فأعزنا الله بالايمان به ، فمهما طلبنا العز من غيره أذلنا الله .

عمر بن الخطاب

وقت المؤمن

قال علي كرم الله وجهه : من أمضى يومه فى غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد بناه ، أو حمد حصله ، أو خير أسسه ، أو علم اقتبسه ، فقد عق يومه .

أرباب ضعفاء

سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمران بن حصين قبل اسلامه : كم لك من اله ؟ قال : عشرة . قال : فمن لغمك وكربك ورفع الأمر العظيم اذا نزل بك ؟ قال : الله . فقال عليه الصلاة والسلام : مالك من اله الا هو .

زوجة مثالية

أثر عن السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أجل ما منّ الله علي به أني لم أفش سرا لعلي ، ولم أنظر لغيره .

حاكم مؤمن

ارسل عمر الى أهل حمص ليكتبوا له أسماء الفقراء لديهم ليعطيهم ، فكتبوا له فى أول القائمة اسم حاكمهم (سعيد ابن عامر) .

عزاء

أوصى الاسكندر المقدوني أمه عند موته بأن تصنع طعاما بعد دفنه تدعو اليه من لم يصبه حزن قط ، ففعلت ، فما أتاها أحد فقالت . ما عزاني أحد بمثل ما عزاني ولدى .

يملك ولا يشتهي

لما فرغ ابن عباس من طعام الوليمة قال : الحمد لله الذى جعلنا نشتهيه ، فقال له صديق ، وهل من أحد لا يشتهي مثل هذا فقال : نعم كثيرون يملكون ولا يشتهون ، وكثيرون يشتهون ولا يملكون، وكثيرون لا يشتهون ولا يملكون .

شرط وزير المالية

قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم .

ـ قرآن كريم ـ

عدل ووفاء

كتب أحد حكام المأمون اليه ان الجند قد شغبوا ، ونهبوا ، فرد عليه يقول : اعدل بينهم فلا يشغبوا ، ووف لهم فلا ينهبوا .

ام المؤمنين

بكت عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها ذات يوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك ؟فقالت ذكرت النار فبكيت ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟فقال عليه الصلاة والسلام : اما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد احدا

عند تطاير الكتب حتى يعلم كل انسان أيؤتى كتابه بيمينه أم شماله

وعند وضع الميزان حتى يعلم أيخف أم يثقل

وعند الصراط حتى يعلم أيجوز أم يسقط .

مفاتح الجنة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة

١ ـ اصدقوا اذا حدثتم

٢ ـ وأوفوا اذا وعدتم

٣ ـ وأدوا اذا ائتمنتم

٤ ـ وغضوا أبصاركم

٥ ـ واحفظوا فروجكم

٦ ـ وكفوا أيديكم

شهوة

قيل للامام الشافعي : كيف شهوتك للعلم

قال : أسمع بالحرف ما لم أسمعه فتود أعضائي أن لها أسماعا تتنعم به مثل ما تنعمت أذناى .

قيل : فكيف حرصك عليه ؟

قال : حرص الجموع المنوع فى بلوغ لذته بالمال .

قيل : فكيف طلبك له ؟

قال : طلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيره .

فى بر الوالدين

قيل لعمر بن ذر ، كيف بر ابنك بك ؟ قال : ما مشيت نهارا قط الا مشى خلفي ، ولا ليلا الا مشى أمامي ، ولا رقى سطحا وأنا تحته .



للدكتور عبد الرحمن عثمان

الهالة التي رسمها التاريخ للخليفة عمر بن الخطاب تضم بين أقطارها مجدا لم نعرفه لحاكم قديم أو حديث ، والمؤرخون على اختلاف نحلهم وأجناسهم وأزمانهم لم تجتمع آراؤهم فى الاشادة بمنهج فى مباشرة أمور الرعية استطاع أن يوائم بين الحزم والرفق ، ويلائم بين الشدة والرحمة مثلما اجتمعت فى تقدير أعمال ابن الخطاب ، حينما أرسى قواعد العدل فى ربوع الدولة الاسلامية ، وحين نصب موازين النزاهة ليحاكم اليها ولاته ومساعديه ، وكان قضاؤه الميزان القسط فيما يعرض عليه من خصومات ، فقد خفض جناحه للضعفاء ممن لا حيلة لهم ولا حول ، واستخشن للأقوياء الذين يتلفتون بعنجهيتهم التي ورثوها الى قانون الجاهلية وبغيها .

ومثل هذا الاجماع الذى لم يسبق اليه مثيل يشعرنا أن التاريخ كان صادقا فى تقديم عمر بصورته الحقيقية ، فلم يحاول التاريخ أن ينتحل المحامد التي لا وجود لها الا فى رءوس منتحليها كما يصنع بعض المؤرخين فى كثير من المواقف، ولم يقصد الى جحد أمجاد خالدة تتأبى بطبيعتها على جحد الجاحدين، وتستعصي على كل تجاهل أو انكار ، فسيرة عمر واضحة المعالم بينة الملامح بحيث لا تحتاج الى اضافات، ولاتأنس الى افتعال، كما أنها لا تستقيم حين يقتطع منها جزء لا يقوم الكل الا به .

ولعل المجتهد الكبير الامام احمد بن حنبل لم يكن يقصد مهاجمة هذا النسق

من الاجماع التاريخي حينما وسم التاريخ بالكذب ، ورمى التاريخ بالتزيد والافتعال بالجرى وراء المثيرات ، واستسلامهم أحيانا الى تهاويل المبالغة والخيال .

العدالة المثالية

وأكثر قرائنا فى عصرنا الحديث لا يكادون يعرفون عن الخليفة الثاني الا هذا الجانب المشرق من جوانب عمر ، لأنه حافل بما يغالب النفس الانسانية ويقهرها ، ولأنه يرتفع بنا الى المثالية الكاملة من فهم العدالة التي تريدها قوانين السماء لأهل الأرض ، تلك المثالية التي جهد الفلاسفة والمفكرون فى اقرارها بين الناس فعجزوا ، ومن قبل نادى بها الفيلسوف الاغريقي « أفلاطون » وخطط لها فى « مدينته الفاضلة » ولكنه باء بالفشل ، فأما عمر بن الخطاب فقد استطاع تطبيقها عمليا فى الأصقاع الاسلامية المترامية الأطراف ، حتى استقرت مبادؤها بكلمات صارمة منه ، فى حين أنه كان رابضا بالمدينة المنورة يرقب أنباءها فى يقظة وتربص ، ويراقب سيرها مراقبة من يرى ويسمع على سوء ما نعرف من وسائل المواصلات وبطئها حينذاك .

لقد كان كل وال من ولاته فى شتى الأقاليم يشعر شعورا لا يخالطه ريب أن الخليفة الحازم يقف منتصبا على رأسه فى مجالس قضائه بين الرعية ، فكان لا بد له من أن يأخذ من الناس ما وجب عليهم ، وأن يسارع فى اعطائهم ما يستحقون من حقوق قبل الدولة الاسلامية .

وليس مرد ذلك فى ظني الى أن ابن الخطاب كان قوى الايمان بتعاليم القرآن الكريم ، فالخلفاء رضي الله عنهم كانوا على مثل ايمانه وقوة عقيدته ، وانما مرده الى شخصيته القادرة ، وانفاذه السريع للأحكام التي تصدر عن آراء لها عنده سندها من الكتاب أو السنة أو الاجتهاد ، ومرده كذلك الى « حسن التوقيت » الذى كان عمر فيه موفقا كل التوفيق ، واصاخته الواعية الى ما يحوك فى صدره من الهامات تجاه الأحداث وقبل الأشخاص ، وبهذه الألمعية العمرية نزل القرآن الكريم برأيه فى اكثر من موضع .

الألمعي الذى يظن بك الظن كأن رأى وقد سمعا

شخصية عمر الأدبية

وأكثر قرائنا معذورون حينما يستهوى أبصارهم هذا التوفيق العجيب الذى كان لابن الخطاب مدة خلافته ، فهم بهذا مصروفون عن التعرف الى مكانته فى الأدب ، أو التطلع الى موضعه الرفيع فى تقدير الشعر وتوجيه الشعراء .

واعلم أن طائفة من هذه الكثرة لم تتوهم أن الخليفة الصارم الجاد يمكن أن يلقي بالا للشعراء ، أو يبعثر وقته فى استنشاد شعر اسلامي فضلا عن سماع أنماطه الجاهلية الموغلة فى الهجر والافتراء ، لأن الشعر جاهليه واسلاميه لا يزيد عن أن يكون كلاما جميلا ، وعمر لا يحب الا العمل الجليل .. !! ، ونسيت تلك الطائفة أن العمل انما هو انجاز فكرة جرت فقراتها فى الخاطر ، أو هو تحقيق رأى لهج به اللسان أو خطه البنان .

وقد عرف المتقدمون الخليفة الثاني محبا للشعر يوجهه وينقده ، ونحن نجد هذا عند محمد بن سلام الجمحي فى « طبقات الشعراء » وعند الجاحظ فى اكثر كتبه ، وعند ابن رشيق فى « العمدة » ، ولو شئنا الاستقصاء لمضينا فى ذكر كثير من كبار كتاب العربية ممن لا يغيبون عن ذاكرة القراء الواعين .

البقية على ص ٦٤

رسول الله بين منصفيه

كانت شخصية رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وما تزال وستظل موضع اهتمام الباحثين والمفكرين والفلاسفة فى غير بيئات المسلمين الفكرية

فقد كان ظهور رسول الاسلام حدثا ضخما فى تاريخ الانسانية ، لا سبيل الى تجاهل أثره وفعاليته ، ومرد هذا فى الاغلب يرجع الى امرين كبيرين .

الاول : ـ خلق محمد (ص) وطريقته فى تصريف الامور على نحو رائع ، فيه ما يناقض القيم الغربية والمفاهيم البشرية التي طالما أثارت الحروب من أجل أمور أغضى عنها الرسول عفوا منه وسماحة . بل ربما قدم لخصومه الذين آذوه مزيدا من التسامح والعطاء . ثم حياته البسيطة فى مظهرها مع شخصيته ذات النفوذ الغلاب .

الثاني : ـ الدعوة التي حملها الى البشرية ، والتي لم تكن دينا فحسب ، بل تشريعا ربانيا ومجتمعا وحضارة وفكرا له قيمه ومفاهيمه واسسه ذات الطابع الايجابي ، الجامع بين الروح والمادة ، والضمير والعقل المفتوح على آفاق الانسانية ، يأخذ منها ويعطي ..

ولقد انقسم هؤلاء الكتاب الذين أولوا شخصية النبي صلى الله عليه وسلم اهتمامهم ، بين الانصاف والجحود ، وظل موقفهم يتأرجح بين الاعجاب والتقدير وبين الخصومة والتعصب . وربما عابوا ما جاء به ، ولم يعيبوه ، وربما حملوا عليه مرة : واعجبوا به اخرى ، مترددين دون قول الحق ، ما عدا قلة قليلة هي التي أولت شخصيته مزيدا من التقدير والاعجاب الخالص .

بل لعل الامر كان ابعد مدى من ذلك ، فان كتابا من الغرب عرفوا وجه الحقيقة ، قد عارضوا كتابا أيضا من الغرب ظلموا شخصية النبي ، فان حملات ((مرجليوث)) والقس كانون سل ، والاب لا منس الذى أفرد كتابا خاصا عنوانه ((هل كان محمد صادقا)) استقل فيه ما امكن استقلاله من الشبهات المختلفة التي وردت فى كتب الشعوبية ، كل هؤلاء قد جاء من بعدهم من نقض ما ذهبوا اليه)) .

شهاب أضاء العالم

١ ـ يقول كارليل . لسنا نعد محمدا هذا قط

وخصومه الغربيين

للاستاذ انور الجندي

رجلا كاذبا متصنعا يتذرع بالحيل والوسائل الى بغيه ، أو يطمع الى درجة ملك او سلطان او غير ذلك من الحقائر والصغائر ، وما الرسالة ألتي أداها الا حق صراح،وما كلمته الا صوت صادر من العالم المجهول ، كلا ، ما محمد بالكاذب ولا الملفق ، وانما **هو قطعة من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة ، فاذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع .**

ويزعم المتعصبون ان محمدا لم يكن يريد بقيامه الا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان . كلا وايم الله ، لقد كان فى فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات ، المتوقد المقلتين ، العظيم النفس ، المملوء رحمة وخيرا وحنانا وبرا وحكمة وحجى ونهى ، غير المطمع الدنيوى ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه . كيف وتلك نفس صامتة كبيرة ، ورجل من الذين لا يمكنهم الا ان يكونوا مخلصين جادين ، فبينما نرى آخرين يرضون بالاصطلاحات الكاذبة ، اذ ترى محمدا لم يرض ان يلتفع بمألوف الاكاذيب ، ويتوشح بمتبع الاباطيل **لقد كان منفردا بنفسه العظيمة وبحقائق الامور .. »**

أيقظ النفوس وأحيا الاخلاق

٢ — ويصور « وليم موير » أسلوب محمد وبيانه فيقول : امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه وقد أتم من الاعمال ما يدهش العقول **ولم يعهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس واحيا الاخلاق ورفع شأن الفضيلة فى زمن قصير** كما فعل محمد .

٣ — وعنى « دوزى » فى بعض فصوله من كتاب « ملوك الطوائف » بالرد على ما ردده خصوم الاسلام فقال فى ص (٤٠٥) : لو صح ما قاله القساوسة من ان محمدا نبي منافق كذاب فكيف نعلل انتصاره ؟ وما بال فتوحات أتباعه تترى ، وتتلو احداها الاخرى ؟ وما بال انتصارتهم على الشعوب لا تقف عند حد ، وكيف لا يدل ذلك على معجزة هذا الرسول ؟ لقد كانوا يعتقدون أول أمرهم أن خذلان المسلمين سيتم بمعجزة قريبة ، فقد طالما سمعوا عن معجزات الكنيسة ، وانتظروا هذه المعجزة التي تخلص البلاد المسيحية من غزوات المسلمين ، ولكن انتظارهم هذه المعجزة قد طال وذهب ادراج الرياح ، واعجب من ذلك ان معجزة اعظم قد حدثت وكانت معجزة أعظم مما كان يتوهمه القديسون انفسهم ، وأى معجزة أعظم وأروع من ان ترى شعبا كان الى زمن قليل فى غاية من الخمول ، **ثم ظهر الى الدنيا فجأة وظل يتقدم بسرعة لا مثيل لها .**

رءوف رحيم

٤ — أما المؤرخ « سيديو » فقد حاول الرد على اتهام النبي بالقسوة او الجبن مما جاء فى كتابات خصوم الاسلام فقال : من التجني على حقائق التاريخ ما كان من عزو بعض الكتاب الى محمد القسوة والجبن ، فقد نسي هؤلاء ان محمدا لم يأل جهدا فى الغاء عادة الثأر الموروثة الكريهة ... وكأن أولئك الكتاب لم يقرأوا آيات القرآن التي قضى محمد فيها على عادة الوأد الفظيعة ، وكأنهم لم يفكروا فى العفو الكريم الذى أنعم به على أعدائه بعد فتح مكة ، ولا فى الرحمة التي حبا بها كثيرا من القبائل عند ممارسة قواعد الحرب الشاقة ، ولا الى ما ابداه من أسف

على بعض الاحكام المبتسرة ، وكأنهم لم يعلموا أن محمدا لم يسيء استعمال ما اتفق له من السلطان العظيم ، قضاء لشهوة القسوة الدنيئة وانه لم يأل جهدا فى القالب – فى تقويم من يجور من اصحابه وكل يعلم انه رفض بعد غزوة بدر رأى عمر بن الخطاب – فى قتل الاسرى وانه عندما حل وقت مجازاة بني قريظة ترك الحكم فى مصيرهم لحليفهم القديم سعد بن معاذ . وانه صفح عن قاتل عمه حمزة ، وانه لم يرفض قط ما طلب اليه من اللطاف والسماح ، وليس بمجهول ان خالد بن الوليد – الذى كان من اشجع قواده لم يستطع ان يرعوى بعد اسلامه – من روح القسوة والصولة التي كانت تلازمة فى زمن الجاهلية فلاحت له الفرصة بأن يثأر لقريبه القتيل فأثخن فى بني خزيمة ، فأجمع المسلمون على استفظاع عمله ، فلما نبىء محمد بما صنع خالد ، اسرع فى ذمه جهارا فرفع يديه الى السماء قائلا « اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد ... »

منقذ الانسانية

٥ – ولقد وجد « برناردشو » فى شخصية النبي ما دعاه لان يصفه بمنقذ الانسانية « لقد عمد رجال الاكليروس فى العصور الوسطى الى تصوير الاسلام فى أحلك الالوان ، وذلك بسبب الجهل او بسبب التعصب الذميم ، والواقع انهم كانوا يسرفون فى كراهية محمد وكراهية دينه،ويعدونه خصما للمسيح ، **أما أنا فأرى واجبا ان يدعي محمد منقذ الانسانية ، واعتقد ان رجلا مثله اذا تولى زعامة العالم الحديث نجح فى حل مشكلاته ، واحل فى العالم السلام والسعادة ، وما اشد حاجة العالم اليوم اليهما .. »**

٦ – وقد أعلم أميل درمنجم « فى كتابه حياة محمد » انه لا يوجد واحد فى الدنيا أمكنه أن ينكر وجود محمد ، ولكن وجد من ينكرون بعض ما جاء فى ترجمة محمد فى الكتب العربية ، وكم يكون مؤثرا ومفيدا التلاقي مع رجل من الرجال الذين يقتدى بهم جانب عظيم من الانسانية ، اما من الجهة الاوروبية فقد كانت الاوهام والعداوات الدنيئة تحول دون درس حقيقى علمي لعظمة منشىء الاسلام .

ويضيف جون سيمون « ان محمدا قد رفع اعلام التمدن » امـا الدكتور « ماردوس » المستشرق الفرنسي فيرى أن أكثر الكتاب ارتيابا وشكا **قد خضعوا لسلطان تأثير محمد .**

اما جوته فعنده أن أهل اوروبا لم يصلوا بعد الى ما وصل اليه محمد فيقول : « اننا – أى أهل اوروبا – بجميع مناهجنا لم نصل الى أبعد مما وصل اليه محمد وسوف لا يتقدم عليه أحد .. »

٧ – اما الدكتورة لورا فينشا فاليرى الكاتبة الايطالية فتدافع عن النبي بحماس وايمان وصدق فتقول : « قام أعداء الاسلام الالداء الذين أعماهم الحقد والتعصب واتهموا رسول الله ، ذلك الرجل النبيل ، الذى كان ينظر اليه قبل الرسالة نظرة اكبار واجلال من جميع مواطنيه ، لما تحلى به من الامانة والسجايا الكريمة ، وكانت هذه التهمة التي رموه بها لا يقبلها عقل ، ولا يمكن أن يسلم بها عاقل ، فضلا عن أنها لا تقوم على أى أساس ، وهي تهمة الغش والخداع ، وليت شعرى كيف ان هؤلاء الناس لم يسألوا أنفسهم : اذا كان النبي فى الحقيقة كاذبا فكيف اجترأ على أن يوجه فى القرآن الى الكذابين والمخادعين أشد عبارات الذم وأقساها ، وكيف توعدهم بالنار وسوء العذاب ، واذا كان كاذبافى دعوته كما يفترون، فكيف صمد للمقاومة اكثر من عشر سنين وهو فى مكة) احتمل اثنائها الشيء الكثير من صنوف الاضطهاد والآلام ، وهو ذلك الرجل الوديع الهادىء الطباع ، وكيف تهيأ له أن ينحاز اليه طواعية واختيارا ، بل وبمنتهى التحمس جماعات كبيرة من رجالات قريش ونبلائهم ، وان ينضووا تحت لوائه مع غيرهم من السوقة والعبيد .

اما تهمة القسوة التي يوجهونها اليه فمن السهل دفعها ، لان محمدا الذى كان على رأس حكومة ، ويتولى الدفاع عن حياة الشعب وحريته ، كان يحكم الخارجين على القانون بصرامة وشدة ، اقتضتهما ظروف البيئة التي كان يعيش فيها .

ولقد كان محمد – كرسول يدعو الى الله – رجلا رحيما لين الجانب حتى لاعدائه الشخصيين ، وبذلك اجتمعت فيه فضيلتان ، كلتاهما أكبر الفضائل التي يتصورها العقل البشرى وهما : الرحمة والعدالة .

وبحسبه ان الحرب التي هي أقصى ضرورات الحياة الانسانية قد صارت بفضله أقل وحشية وقسوة ، اذ انه كان يطلب الى جنوده الا يقتلوا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ، ولا يهدموا بيوتا لم تتخذ كمعاقل حربية .

... وقد أراد اعداء الاسلام ان يظهروا النبى فى صورة رجل شهواني اباحي بأن اتخذوا من زيجاته المتعددة حجة لاتهامه بضعف خلقى لا يتفق ومركز النبوة ولكن فاتهم أمر هام لم يحسبوا له حسابا ، وهو ان النبي أيام فتوته وعنفوان شبابه لم يتزوج الا من امرأة واحدة ، ولم يتزوج من غيرها حتى ماتت ، مع انه كان يعيش بين قوم سادت فيهم كثرة الطلاق والزواج ، وكان يندر ان يقتصر الرجل منهم على زوجة واحدة ، ولما فقدت وكانت سنه حين ذاك خمسين سنة تزوج من اخرى ، كما عقد زيجاته المختلفة التي كانت فى اغلب الاحيان لدواع اجتماعية او سياسية لانه كان يريد بهذه الطريقة ان يكتسب الى صفه رجالا اتقياء او نساء تقيات ، ويرتبط بروابط المصاهرة بأسر قوية ... »

« وكان كل ذلك بقصد نشر الاسلام » (١)

٨ — ويدافع الكونت هنرى دى كاسترى عن اتهام النبي بتأليف القرآن ، ويقول « وكيف يعقل ان النبي ألف هذا الكتاب باللغة الفصحى ، مع انها فى **الازمان الوسطى كاللغة اللاتينية ما كان يعقلها الا القوم الصالحون** ، وقد شاهدنا ان اناسا — وما كان اكثرهم — أميين قاموا فى أمة العرب ، وادعوا النبوة منهم مسيلمة الذى زعم انه قرين محمد ، اتى بسور سخر منها العرب ، **ولو لم يكن فى القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك ان يستولي على الأقطار ويأخذ بمجامع القلوب .**

اتى محمد بالقرآن دليلا على صدق رسالته ، وهو لا يزال الى يومنا هذا سرا من الاسرار التى تعذر فك طلاسمها ، ولن يسبر غور هذا السر المكنون الا من يصدق بأنه منزل من الله ، اللهم الا اذا اعتمدنا على قول ممجدى الدين المسيحى مما كنا نرتاح اليه أيام شبيبتنا ، وهو يرجع الى أن القرآن تأليف فاتح أراد تأييد سلطته ، فجمع من كتب اليهود والمسيحيين قانونا اودعه بعض قواعد الادب والدين .. واضاف اليه قصص الوقائع العظيمة لتأييد رسالته .

وعلى كل حال — اى سواء توصلنا الى معرفة حقيقة القرآن ام لا ، — فلا ينكر احد ان مظهر محمد كان مظهر نبوة بالفعل بقطع النظر عن صدق تلك النبوة وعدم صدقها ، لان النبوة من حيث هى عبارة عن قيام رجل يملي على الناس امر ربه ويعتقد حقا ان ما يقوله آت من عند الله .

خاتم الانبياء

ومحمد كما قال (ايوالد) عن انبياء بني اسرائيل اعتقد ان روحا من الله استولت على لبه ، فلم يشعر بأن له فكرا خاصا ، بل انه اوتيه من عند ربه ، واختفت فى نظره انانيته ، ولم يعد يسمع غير صوت ذات فوق ذاته ، ومن ذلك الحين اخذت شفتاه تنطق بالالفاظ بعضها أشد قوة وابعد مرمى من بعض ، والافكار تتدفق من فمه على الدوام ، وكانت تلك الانفعالات تظهر على وجهه بادية فظن بعضهم ان به جنة ، وهو رأى باطل لانه بدأ رسالته بعد الاربعين ، ولم يشاهد عليه قبل ذلك اى اعتلال فى الجسم او اضطراب فى القوة المادية ... »

اذن ليس محمد من المبتدعين ، ولا من المنتحلين كتابهم ، وليس هو نبيا سلابا كما يقول (سايوس)، نعم : قد ترى تشابها بين القرآن والتوراة فى بعض المواضع الا ان سببه ميسور المعرفة ، ذلك أن محمدا يلصق ديانة الاسلام بالديانتين المسيحية واليهودية ، وحينئذ لا عجب اذا تشابهت تلك الكتب فى بعض المواضع ، خصوصا اذا لاحظنا أن القرآن جاء ليتممها كما ان محمدا هو خاتم الانبياء .. » (١)

ومن جماع هذه الآراء تبدو صورة محمد صلى الله عليه وسلم واضحة فى نفوس المنصفين من الغربيين على نحو قريب جدا مما هي فى نفوس المسلمين ، ولا شك ان مصدر هذا النصر هو قوة الاسلام الذاتية فى فرض تعاليمه وتاريخه وافكاره على الفكر العالمي وتأثيره فيه ، بالرغم من كل المحاولات التي اتخذت لتمزيق صفحته ، وتشويه ملامحه فقد استطاع ان يحفر تيارا قويا على ايدى مجموعة من الاعلام من رجال الفكر والادب والبحث العلمي .

أ/ك/ محاسن الاسلام . طبع يافا ١٩٣٤ ترجمة طه فوزى .

(١) الاسلام . خواطر وسوانح . تأليف هنرى دى كاسترى . ترجمة أحمد فتحي زغلول — سنة ١٩١١ .....

معارف مغرضة عن

خطة مريبة

حين ظهرت الترجمة لدائرة المعارف الاسلامية كانت موضع الارتياح من أناس كثيرين ، كما قوبلت بنقد عاصف من الجهات المحافظة ، عبر عنه الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى بقوله نقلا عن مجلة الأزهر (نور الاسلام سابقا) ربيع الأول ١٩٥٣ .

« ان هذه الدائرة تشتمل على الشيء الكثير من التهم الباطلة على الاسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم ورجالاته الصالحين ، ولا يدفع ببعض هؤلاء المستشرقين الى التورط فى هذه الخطة المريبة ألا ما يحملونه فى صدورهم من البغضاء لهذا الدين ، فلا يصح والحالة هذه أن يحمل المترجمون أنفسهم اثم نقل هذه السفاسف الى لغتهم وبأقلامهم ، ليقرأها الناس فى جميع بلاد المسلمين ، فالذى أراه أن يمتنعوا عن ترجمة ما يصادفونه من هذه الأباطيل ، وأن يكتفوا بالاشارة اليها مشفوعة بما يدحضها ، ويبين فسادها بكل دليل » .

ونقد العلامة الأستاذ فريد وجدى رحمه الله ينصب على المفتريات الصارخة من أمثال ما نقلوه عن حديث الافك وايمان ابى بكر وأبى هريرة والسنة والحديث والاجماع والتصوف فى الاسلام ، مما اعتوره الخطأ المقصود والتدليس الآفك وقد رأى الاستاذ أن التعقيبات الخاطفة فى هوامش الدائرة لا تكفى للاطاحة بهذه الشبهات البغيضة لأننا نترجم هذه الشبه بافاضة ، ثم نوجز نقدها ايجازا لا يقطع الشك ، والأولى أن نمتنع عن ترجمتها أصلا .

على أن هناك ناحية هامة من نواحي الخطر فيما يترجم من أعداد الدائرة لم نر من تعرض لها بالتحليل والايضاح ، وهي تسطير البدع الدخيلة على الدين الاسلامي باستفاضة مثيرة ، فقد أمعن مؤلفو الدائرة فى تسجيلها وشرحها وكأنها أصول مقررة لا بدع دخيلة ! !

والافاضة فى تسطير هذه البدع على أنها من المعارف الاسلامية شيء غريب حقا ، لأن الاسلام يبرأ منها ، وما جاء الا لمحاربتها ، فكيف تكون من بين المعارف الاسلامية التي



للأستاذ ـ محمد رجب البيوم

يعني الباحثون بتسجيلها فى دوائر عامة تأخذ منزلة القواميس والمعاجم فى الذيوع والاشتهار .

خلط متعمد

وكان على المؤلفين لو صدقت نياتهم أن يبتعدوا عن تسجيل هذه البدع فى دائرة يقال انها تحصى المعارف الاسلامية ، ولهم أن يتحدثوا عنها فى كتب أخرى تتحدث عن عادات الشعوب وتقاليدها ، أما أن يبحثوا عن الخرافات فى كتب العادات والتقاليد ، لتدون بعد فى دوائر المعارف الاسلامية ، فهذا خلط مقصود متعمد ، أما أنه خلط فأوضح من أن يدل عليه ، وأما أنه متعمد فلان مؤلفي الدائرة ليسوا من البلاهة بحيث لا يفرقون بين أساطير البدع وحقائق الشريعة ! وسنوضح ما نعنيه بمثال من أمثلة الدائرة يدل بمغزاه على عشرات النظائر والأشباه .

قدم المستشرق الانجليزي المستر ادورد وليم لين الى مصر فى يوليه سنة ١٨٢٥ لدراسة آثار المصريين القدماء ، ولكنه اختلط بطبقات الشعب المختلفة ، فعرف من عاداتهم وتقاليدهم فى المواسم والأعياد والأفراح والأحزان والصحة والمرض ما حبب اليه أن ينقل طرائف نادرة عما يرى ويسمع ، وقد اتخذ لنفسه منزلا فى العاصمة وسمى نفسه منصور أفندى ، وتزيا بزى الأتراك ، وادعى الاسلام ليتمكن من محادثة المسلمين فى اسرار معتقداتهم كما يقول ، وجعل يغشى المساجد وحفلات الذكر وموالد الأولياء ، ويتسمع الى أحاديث الكرامة والمعجزات والخوارق حتى تسنى له أن يكتب مؤلفه الذائع عن شمائل المصريين المحدثين وعاداتهم فى جزءين كبيرين ، فاهتمت به دوائر الاستشراق فى اوروبا ، وتناقلته اللغات المختلفة فى الشرق والغرب ، وأصبح لدى المنصفين مرجعا شعبيا لمن يدرس العادات والتقاليد ! كما صار فى الوقت نفسه أحد المراجع الهامة لمؤلفي دائرة المعارف الاسلامية ينقلون عنه الخرافات وكأنها حقائق ، وليس على الرجل نقد فيما كتب ، فهو يعترف أنه يتحدث عن عادات وتقاليد ! ولكن المؤاخذة كل المؤاخذة تتجه لمن سولت لهم نفوسهم أن يحشدوا الغرائب

العجيبة فى دائرة المعارف لتصير فى رأيهم بمرور الزمن حقائق متداولة! وهي ظاهرة البطلان فى نظر السذج بله المثقفين الثقاة.

الدوسة

من أطرف ما ذكره الأستاذ ادورد وليم لين ما يسمى بالدوسة لدى بعض الفرق المنتسبة للطرق الصوفية ، وهي ملهاة مضحكة تدل على غفلة العقول فى عصور التأخر والانحطاط ، وقد لخصها استاذنا الدكتور احمد أمين فى كتابه المعروف بقاموس العادات والتقاليد المصرية ، وقال عنها : انها تحدث فى ربيع الأول من كل عام اذ يجتمع أرباب الطرق على نظام خاص ، ثم يسير الموكب متنقلا فى شوارع العاصمة ببيارقه وأعلامه وطبوله وراياته ، وبه كثير من المشعوذين بعضهم يأكل الزجاج، وبعضهم يأكل الثعابين وبعضهم يضرب صدره بدبوس ذى رأس كبير فى عنف وقسوة ، ومنهم من يضع حد السيف فى بطنه ثم ينام فوقه ، ويأتي شيخ الطريقة ، فيبل يده بريقه ، ثم يمسح على بطن المريد حتى لا يتأذى من حد السيف ، وعندما تصل هذه المواكب الى ساحة المولد ينبطح الكثيرون ، على وجوههم فى صف كبير ، فيمر فوقهم شيخ السادة السعدية بحصانه ، يقوده اثنان من اتباعه ، ويعتقدون أنهم سينالون من ذلك بركة كبيرة ! !

هذه طرفة نادرة ، ولا على الأستاذ لين أن يذكرها بين ما شاهد فى كتاب عن عادات المصريين فى بعض عصور الانحطاط، ولا على الاستاذ احمد أمين أن يسردها فى قاموس العادات والتقاليد الشعبية ، انما الحرج أن تكون بين المعارف الاسلامية ، فتخصص لها ثلاثة أعمدة طوال فى صفحات ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ من المجلد التاسع حيث تحتشد أسماء الأولياء من أمثال السلطان الحنفى والدشطوطي ويونس السعدى والبكرى، ويزاد على ذلك ما يوهم التعلق بأصل اسلامي ، فيقول كاتب الدائرة : ولا شك أن اصطناع الطريقة السعدية للجواد يتصل برتبة صاحب طريقتهم بوصفه من سلالة النبي ! وقول الكاتب لا شك بصيغة الجزم والايقان يدعو الى السخرية فان نسبة شيخ السعدية الى السلالة النبوية محاطة بالشكوك القوية من ناحية، واصطناع الجواد على هذه الصورة المنكرة لم يعرف اطلاقا عند آل الرسول وسلالته حتى يكون هذا التقليد جائزا مستساغا لرجل يدعي الانتساب الى آل محمد صلى الله عليه وسلم ! وليت شعرى فى أى كتاب تاريخي نص على اختصاص سلالة الرسول الأطهر بما يأباه نبي الاسلام ، ويدعو الى محاربته ! ومتى كان لأحد افراد هذه السلالة أن يبتدع ما لم يأذن به الله حتى يكون فعله الجريء تقليدا اسلاميا يذكر دون اعتراض ! !

ان الحرص على تسطير هذه المأساة ومحاولة الصاقها بمصدر دينى ليفصح عن دخيلة عليلة لدى من يسرهم أن يشوهوا محاسن الدين الاسلامي بالتي هي أقبح وأفدح .

لا تترجموا الدخيل

هذا مثال من عشرات ، وهو يدعو الى النظر الدقيق فيما نشر بالعربية من اعداد دائرة المعارف الاسلامية ! ونحن قبل كل شيء نعترف بجهود حضرات المترجمين وخلوص نياتهم الصادقة ، وروائع همتهم البارعة فى انجاز هذا العمل الضخم بما لا يجرؤ على انكاره منصف يزن الأعمال بميزانها القويم ، ولسنا مع الأستاذ فريد وجدى حين نادى بوقف

الترجمة وامتناعها كيلا تسيء الى الشبيبة الاسلامية بما تقدم من آراء مدخولة لا يتبين وجه الصواب فيها غير الدارسين المتبصرين ولكننا درءا للخطر ، وأخذا بالحيطة ندعو الى الاقتصار فى الترجمة فيما سيجيء من الاعداد على الصحيح المتيقن من خالص القول وصادق الرأى ، مع اغفال ما يحوطه الريب ، ويعتوره الشك ، ولسنا بذلك نخل بالترجمة العربية ، اذ نعلن أن خطتنا أن نقتصر على النافع المفيد من وجهة النظر الاسلامية ، ولن يعنينا أن تكون الترجمة حرفية مستوعبة اذ أن الحرص على ذلك يقذف بالتهم ظلما الى الاسلام والمسلمين .

وقد يقول قائل ان البتر والحذف فى الترجمة اهدار للأمانة العلمية فى النقل ، ونحن نرد على ذلك اذا ووفق على اقتراحنا الراهن بأننا سنظهر خطتنا الجديدة للناس ، فنعلن أننا نختار من الدائرة فقط لا أننا نلتزم بكل ما بها من بحوث ، ولن يكون ذلك اهدارا للأمانة العلمية بل توقيا لأوهام تتجسد حتى تكون سحبا قاتمة تغشى نور الحق ، وتطمس لألاء الاسلام .

أما محاولة الرد فى الهوامش وفى أعقاب المباحث فقد روعيت فيما نشر من الأعداد العربية ، ولم تستطع فى بعضها — لا فى جميعها — أن تفي بالمراد ، فقد تكون الشبه المسطورة مطيلة مسهبة كما لاحظ العلامة الكبير الاستاذ محمد فريد وجدى رحمه الله ، ثم يأتي التعليق موجزا مبهما لا يؤدى رسالته ، بل ان التعقيب فى بعض المباحث يكون — على طوله — فاترا ضعيفا يوحي بقوة الشبهة واطالتها ، واذ ذاك يثبت الباطل ويضيع الحق !

مستشرقون مبشرون

على أننا لاندرى لماذا نجبن عن الاعتراف بأن اكثر كتاب الدائرة قسس مبشرون يهمهم أن يتحيفوا الاسلام لا أن ينصفوه وقليل منهم من يتصف بالشجاعة العلمية فيتغلب على عناصر التعصب والضيق ! ومن كان كذلك ، لقي من زملائه قارع التأنيب وعنيف النقد ، وليس كتاب الدائرة وحدهم من هذا النمط ، بل جل المشتغلين بالدراسات الاسلامية لا يتجاوزون صناعة التبشير ، تعرفهم فى لحن القول بتخيلاتهم المريضة واستنباطهم المغرض ، وافتراضهم المتمحل ، وأقرب مثال لنا هو المستر توماس باترك هيوز صاحب قاموس الاسلام ، وهو مرجع متداول لا تكاد تخلو منه مكتبة أوروبية فقد قضى القس المؤلف فى وظيفته التبشيرية ببلاد الهند بين المسلمين والبرهميين والبوذيين اكثر من عشرين سنة ونشر معجمه — كما يقول — هداية للموظفين الانجليز ممن كانوا يتولون الحكم ببلاد الهند فى أواخر القرن الماضي ، ومساعدة للمبشرين بالمسيحية ممن يجادلون علماء الاسلام ، وللباحثين فى الأديان المقارنة ، وقاموس كذلك يصدره قس مبشر متعصب لايمكن أن توصف أبحاثه بالحيدة والانصاف ، وما أكثر ما يدور فى فلكه من الدوائر والمعاجم والقواميس ، أفيجوز لهؤلاء وأشباههم أن يقولوا فى الاسلام ما يشاءون ، ولا يجوز لنا فى الترجمة العربية من دائرة المعارف الاسلامية أن نختار ما نشاء فان فعلنا ذلك كنا — فى نظر سدنة الاستشراق — غلاة متعصبين ! ! .

قرارات مؤتمر البحوث الاسلامية

سبق ان نشرنا فى العدد الثالث بعض قرارات وتوصيات مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية الذى انعقد فى القاهرة فى شهر المحرم الماضي وها نحن أولاء ننشرها كاملة لما تضمنته من آراء قيمة فيها بلا شك نفع للاسلام والمسلمين .

وقد جاءت هذه التوصيات والقرارات المشار اليها على فترتين ..

توصيات الفترة الاولى :

أولا : ان تقف الدول الاسلامية صفا واحدا فى كل ما يمس مصالح المسلمين فى حياتهم الدينية والدنيوية ، وان تحكم تعاليم الاسلام فى حياتها ، وفيما عسى ان يشجر بين المسلمين من خلاف حتى تظل الاخوة الاسلامية قائمة وفعالة .

ثانيا : (أ) يجب الاسراع فى تحديد الوسائل العملية لنشر الاسلام والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فى مختلف الدول على كافة المستويات ، وبحث طريقة تمويل هذه الوسائل حتى يمضي مجمع البحوث الاسلامية فى مهمته العظمى التي من اهم اهدافها حمل امانة دعوة الناس كافة الى الاسلام .

(ب) تفويض الامام الاكبر شيخ الازهر فى تأليف اللجان التى يوكل اليها بحث هذه المهمة .

(جـ) تأييد جميع الحكومات الاسلامية والمسلمين هذه المهمة وأن يمدوها بالاموال والامكانيات التي تكفل لها النجاح .

ثالثا : يرى المؤتمر ان قضية فلسطين هي قضية المسلمين جميعا لارتباطها الوثيق بدينهم وتاريخهم وتراثهم . وانه لن يهدأ للمسلمين بال حتى تعود الارض المقدسة الى اهلها وان فى وجود اسرائيل فى فلسطين خطرا يهدد المسجد الاقصى طريق الحرمين الشريفين والسبيل الى قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ مما يجعل تحرير فلسطين وامنها لازما لأمن الديار المقدسة ولأداء الشعائر الدينية لجميع المسلمين فى المشارق والمغارب .

لذلك كان الدفاع عن فلسطين والعمل على تحريرها فرضا على كل مسلم، وكان القعود عنه اثما كبيرا ، ومن ثم يوصي المؤتمر فى شأن هذه القضية بما يلي :

١ ـ أن يولى المسلمون جميعا قضية فلسطين كامل عنايتهم وجهودهم حتى يتم تحرير هذا الوطن العربي الاسلامي المغتصب تحريرا كاملا .

٢ ـ أن تسحب الدول الاسلامية التي اعترفت بحكومة اسرائيل هذا الاعتراف وان توقف الدول والشعوب الاسلامية التي تتعامل مع اسرائيل هذا التعاون .

٣ ـ ان تتولى الهيئات والمؤسسات الاسلامية فى كل بلد اسلامي متابعة القضية الفلسطينية وتنوير الرأى العام بشأنها ، وانشاء مراكز اسلامية فى القدس .

٤ ـ ان تنفذ الحكومات العربية جميعا قرارات مؤتمرى القمة العربيين نصا وروحا ، وان تساندها الدول الاسلامية

فى ذلك مساندة كاملة كما يستنكر المؤتمر كل محاولة للخروج على هذه القرارات لأنه لا يوجد حل لمشكلة فلسطين غير عودة الحقوق الى اهلها وازالة اسرائيل .

٥ ــ مؤازرة منظمة التحرير الفلسطينية لكى تؤدى واجبها فى الدفاع عن الوطن السليب فى مختلف المجالات .

٦ ــ والى ان يعود الحق الى أهله يوصى المؤتمر ان يجعل المسلمون يوم ١٥ مايو يوم ذكرى وتجديد العهد على انقاذ فلسطين من الشرذمة الباغية التي تعيث فى الارض فسادا .

قرارات وتوصيات الفترة الثانية

الشئون المالية والاقتصادية

أولا : التأمين

قرر المؤتمر بشأن التأمين ما يلي :

١ ــ التأمين الذى تقوم به جمعيات تعاونية يشترك فيها جميع المستأمنين لتؤدى لاعضائها ما يحتاجون اليه من معونات وخدمات : أمر مشروع وهو من التعاون على البر .

٢ ــ نظام المعاشات الحكومي وما يشبهه من نظام الضمان الاجتماعي المتبع فى بعض الدول ونظام التأمينات الاجتماعية المتبع فى دول اخرى : كل هذا من الاعمال الجائزة .

٣ ــ أما انواع التأمينات التي تقوم بها الشركات أيا كان وضعها ، مثل التأمين الخاص بالحوادث التي لا مسئول فيها والتأمين على الحياة وما فى حكمه : فقد قرر المؤتمر الاستمرار فى دراستها بواسطة لجنة جامعة لعلماء الشريعة وخبراء اقتصاديين وقانونيين واجتماعيين مع الوقوف ــ قبل ابداء الرأى ــ على آراء علماء المسلمين فى جميع الاقطار الاسلامية ، بالقدر المستطاع .

ثانيا : المعاملات المصرفية

قرر المؤتمر بشأن المعاملات المصرفية ما يلي :

١ ــ الفائدة على انواع القروض كلها ربا محرم لا فرق فى ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي وما يسمى بالقرض الانتاجى لان نصوص الكتاب والسنة فى مجموعها قاطعة فى تحريم النوعين .

٢ ــ كثير الربا وقليله حرام كما يشير الى ذلك الفهم الصحيح فى قوله تعالى * يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة * .

٣ ــ الاقراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة ، والاقتراض بالربا محرم كذلك ولا يرتفع اثمه الا اذا دعت اليه الضرورة .

وكل امرىء متروك لدينه فى تقدير ضرورته .

٤ ــ اعمال البنوك من الحسابات الجارية وصرف الشيكات وخطابات الاعتماد والكمبيالات الداخلية التي يقوم عليها العمل بين التجار والبنوك فى الداخل . كل هذا من المعاملات المصرفية الجائزة . وما يؤخذ فى نظير هذه الاعمال ليس من الربا .

٥ ــ الحسابات ذات الاجل ، وفتح الاعتماد بفائدة ، وسائر انواع الاقراض نظير فائدة كلها من المعاملات المصرفية المتعلقة بالكمبيالات الخارجية ، اجل النظر فيها الى ان يتم بحثها .

البقية فى العدد القادم

بقية ابن الخطاب

وحين أقدم لقراء « الوعي الاسلامي » شخصية عمر الأدبية أرجو أن أكون قد صنعت خيرا لطبقة من شبابنا المسلم انخدعت فترة من الدهر بما يسميه « مستوردوه » بمذهب « الالتزام » فى الأدب الوجودى الذى يتزعمه اليوم فى أوروبا الفيلسوف الفرنسي « جان بول سارتر » فراحت تنادى به فى جامعاتنا العربية المسلمة كأنما هو كشف أدبي جديد اهتدت اليه الوجودية أواخر النصف الأول من القرن العشرين أو قبل ذلك بقليل .

وسترى هذه الطبقة من شبابنا المسلم أنها خدعت عن ماضيها الجليل بما وقر فى أسماعها من أباطيل احتشد للترويج لها علماء من العرب والمسلمين ، اما عن جهل بما يزخر به تراثنا القديم ، واما عن علم يقود زمامه الهوى والغرض !!

وسترى هذه الطبقة كذلك أن الدعوة التي تثار من حين الى آخر لتوجيه الأدب الى الفضيلة والبناء ليست جديدة على الأدب من حيث هو فن هادف بطبيعته ، فان التوجيه أخص صفة عرفت للفنون منذ نشأتها ، ولا نكاد نتصور أدبا لا غاية له ولا هدف الا فى أحاديث المخلّطين والمجانين .

ان عمر بن الخطاب لم يشأ أن يقصر مبدأ الالتزام على النثر كما قصرته الوجودية الحديثة ، بل جعله واجبا فى الشعر ، وأغرى به شعراء عصره ، وان كان اختلاف النظرة الى مبدأ الالتزام من جانب عمر والجانب الوجودى يقوم على بواعث فنية قد نعرض لها فى مناسبة أخرى .

توجيهاته للشعراء

كانت توجيهات عمر للشعراء صادرة عن التوجيه القرآني الذى نزلت به الآية الكريمة « والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر انهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا » فالقرآن الكريم لا يرى للشعراء أن يميلوا مع الغي والهوى، ولا يرضى لهم أن يجوسوا منحرفات السبل ، ومعوج الشعاب ، كمن يهيم على وجهه ، ولا يحب لهم أن يحمدوا بقول لا يعضده عمل ، بل يرى لهم أن يصبحوا من ذوى العقائد ، فان العقيدة تذكى فى النفس روح النضال فى سبيل ثباتها وانتشارها ، وتفجر فى القلب ينابيع الخير والصلاح .

وتلك أنبل رسالة نراها للشعر منذ ان جرى على الألسنة ، رسمها القرآن الكريم وأجاد تطبيقها عمر بن الخطاب فى بصر وحذق .

يروى الجاحظ عن ابن سلام الجمحي أنه ما يكاد يعرض لعمر أمر الا أنشد فيه بيت شعر ، وهذه الرواية تهدينا الى تعلق الخليفة بذلك الفن الذى يخالط النفس العربية ويستهويها ، ولا يصرفها عن حبه ما قد يجد لها من شؤون الحياة مهما كان جليل الخطر ، فذلك فى العربي الأصيل يعتبر مما يلتصق بالطبع ، ويرتكز على الفطرة .

ولكن هذا الحب لم يزحزح ابن الخطاب عن منهجه الاسلامي قيد أنملة ، ولم يزين له أن يغيّر نظرته الجادة الى الحياة الجديدة .. حياة البناء ودعم الكيان

الاسلامي الوليد ، ومن ثم خطا خطوات موفقة فى الشعر ودفع به الى سبل لا عوج فيها ولا التواء ، وقاد الشعراء الى الوجهة التي حشد اليها عزائم الأمة فى نضالها من أجل سيادتها وعظمتها .

لقد كان الفاروق من أعلم العرب بفنون الشعر على عصره ، ومن أدقهم نظرة فى فهم رسالته ، ومن أرقهم ذوقا فى الاهتداء الى مواطن الجمال فى هذا الفن الجميل وفى هذا الاطار العام سنبرز الشخصية الأدبية لابن الخطاب عسى أن نلمس ما أحدثت من مفاهيم جديدة فى طبيعة الرسالة التي حمل لواءها فن القول المثير على ألسنة شاعرة وخواطر جياشة .

على أننا نأمل أن تمتد أبصارنا فى الحديث عن توجيهات الخليفة الأديب الى أعماق ما نقرأ له ، فقد يتاح لها أن تتبين مدى تذوقه للفن الشعرى ، وأن تشعر بتلك الهزة التي كانت تنتظم كيان عمر من حلاوة ما يسمع من شعر ، ولكنه كان يغالبها فى وقار وجد ، وهيهات أن تختفي أو تغلب ، لأنها كثيرا ما تمض فى تعليقاته الدقيقة وميض الحور من عيون كحيلة ، وترف نديّة رفيف الابتسامة على ثغر جميل .

وبهذا النسق سأكشف للقراء عن الجانب الفني لشخصية مثلت فى نفوسنا ومن حولها هالة من الجد والوقار .

أنشد عبد بني الحسحاس عمر بن الخطاب قوله :ــ

عميرة ودّع ان تجهزت عاديا

كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال له عمر : لو قلت شعرك مثل هذا لأعطيتك عليه ، فلما قال :ــ

فبتنا وسادانا الى علجّانة

وحقف تهاداه الرياح تهاديا

وهبّت شمالا آخر الليل قرّة

ولا ثوب الاّ درعها وردائيا

فما زال بردى طيّبا من ردائها

الى الحول حتى أنهج البرد باليا

قال له ابن الخطاب ويلك ، انك مقتول ! !

وعمر فى تعليقه على مطلع القصيدة راض كل الرضا على المنهج الشعرى حتى أنه أراد أن يعطى عليه العطاء ، وهو فى تعليقه على الأبيات راض كل الرضا على السهولة والجمال اللتين تلوحان فى ليلة الشاعر ، ولهذا كان تعليقه عليه . ويلك ، وهي كلمة على ما تتضمن من اشفاق وزجر ، تتضمن أيضا قبولا لهذه العذوبة المستحبة التي جرت على لسان شاعر مسلم تعلق فىصدر قصيدته بالاسلام ، ثم مضى فيها خاليا الى نفسه وذكرياته الحلوة فى ليلة قضاها مع حبيبته على غير تصريح بالفحش والفجور .

وفى مقال تال نتابع حديثنا عن ابن الخطاب والشعراء .

جاءت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت :

« ان أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته ، فجعل الأمر لها .

فقالت :

قد أجزت ما صنع أبي ، ولكني أردت أن أعلم النساء أن الآباء ليس لهم من الأمر شيء »

« رواه أحمد والنسائي »

هل يتجه المجتمع الدولي نحو الغاء الربا

للأستاذ محب المحجرى
رئيس القسم الاقتصادى بوزارة الخارجية ـ كويت

قال الله تعالى فى كتابه الكريم « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمون. وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » صدق الله العظيم .

وفى الحديث الشريف « وكل ربا الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين .. »

وتتوالى الآيات والأحاديث التي تحرم الربا وتتناول بعض جوانب المعاملات المختلفة فتؤكد شمولها لهذا الجانب المحرم وتميزها عن معاملات البيع الأخرى ، ولكن الفقه الاسلامي لم يواجه بعض المعاملات الربوية الموجودة فى واقعنا الآن ، فجاء فقهاء المسلمين فى العصر الحديث يدلون بدلوهم ، ويجتهدون فى حل كثير من المشاكل ، ويفتون الناس فيما اختلط عليهم فى شأن معاملات البنوك والاستثمارات المختلفة ،وهل سعر الفائدة فيها محرم أو أنه بعيد عن دائرة الحرام ، فوجدنا من قطع بالتحريم ، ومن نادى بالاباحة ومن آثر التريث والانتظار .

وقد اجتمع فى القاهرة نخبة من علماء المسلمين (مجمع البحوث الاسلامية) وقطعوا فى هذا الأمر برأى قاطع يقضي بأن سعر الفائدة محرم أيا كان شكله أو الغرض منه .

ولقد أفاء الله حديثا على أمتنا وعلى العالم أجمع بجمهرة من الاقتصاديين الذين تناولوا تحليل المشاكل الاقتصادية وظاهرة الكساد والدورات الاقتصادية ، فوجدوا أن سعر الفائدة يشكل أحد الأسباب الرئيسية التي تؤدى لهذه المشاكل .

مساوىء سعر الفائدة فى القروض الدولية

وسنتناول فى هذه المقالة جانبا من الأضرار التي يحدثها الربا ، ومدى

التطور والتغيير الذى طرأ على التفكير الدولي بهذا الشأن .

وهذا الجانب هو سعر الفائدة فى القروض الدولية . ويقصد بالقروض الدولية التي تحصل عليها الدولة أو هيئاتها الداخلية من دولة أو هيئات أجنبية ودولية .

وقد أخذت ظاهرة اقتراض الدولة من الخارج فى الزيادة والتوسع فى القرن الماضي والحالي حتى أصبحت اليوم ضرورة لا يمكن أن تستغنى عنها الدول الصغيرة أو الكبيرة .

وأقبلت الحكومات على وضع خطط وبرامج لتطوير اقتصادها وأوضاعها ، فظهرت برامج السنوات الثلاث والخمس والسبع والعشر ، والحكومات تهدف من وراء هذه البرامج تشغيل مواردها الداخلية الى الحد الأقصى لدفع عجلة النمو الاقتصادى ومضاعفة الدخل الأهلي .

وقد وجدت حكومات الدول النامية ـ المتخلفة اقتصاديا ـ ان لديها الكثير من الموارد الطبيعية غير المستغلة تحتاج لتصنيعها الى عدد وآلات تستوردها من الخارج بعملات صعبة ومبيعاتها من المواد الخام للدول المتقدمة لا تغطي حاجتها من هذه العملات ، مما اضطرها للاقتراض من الدول والهيئات الأجنبية والدولية .

ولم تراع حكومات الدول المتقدمة التي تقدم القروض المبادىء الانسانية (التي اشتملت عليها الآية الكريمة التي سقناها فى صدر هذا المقال) فأخذت تحدد سعر الفائدة مرتفعا مع شروط قاسية للاقتراض والسداد .

وأصبحت القروض التي تحمل في معناها اسم المساعدات والمعونات للدول النامية وسيلة من وسائل الدول الغنية فى تصريف منتجاتها من عدد وآلات وبضائع مختلفة وفرض السعر الذى تراه ، وأحيانا يزيد عن اسعار السوق العالمية ، كما أنها تحسب فى القرض مكافآت الموظفين والفنيين الذين يشرفون على تنفيذ المصانع والمشاريع التي تم القرض من أجل اتمامها وعادة ما تكون مكافآت عالية مغالى فيها ، وكذلك فهي تضيف على أعباء الدولة المقترضة أجور الشحن والتأمين لشركات تابعة لها بأسعار مجزية تربو على أسعار غيرها من الشركات .

وهكذا أصبحت القروض من أحسن الوسائل للدول الصناعية لترويج منتجاتها ، وتشغيل مصانعها . ووحداتها الانتاجية ، والقضاء على البطالة فيها ، وتحقيق الرواج والرفاهية لمجتمعاتها .

هذا من جانب ومن جانب آخر نجد أن الدول النامية المقترضة تقبل فى كثير من الأحيان تحت ضغط ظروفها وقلة خبراتها سلعا وخدمات أقل فى الجودة من المستوى المطلوب أو تقنع بتركيب مصانع وآلات أصبحت فى العرف الصناعي قديمة مرت عليها عدة مراحل من التطور والتغيير فلا تحظى منتجاتها فى المستقبل بالقدرة على منافسة منتجات المصانع الحديثة فى الدول الصناعية المتقدمة، كما أنها تفقد كثيرا من مميزات حرية الاختيار سواء فى مجال الخبرات الفنية أو النقل أو التأمين بل تلتزم بشروط واسعار محددة، وتضحي بشروط وأسعار أفضل خارج هذا النطاق الاحتكارى المفروض .

وكثيرا ما تتأخر الدول المقرضة عن تنفيذ عقودها أو تمتنع عن الالتزام بشروطها لأسباب سياسية أو غير سياسية مما يترتب عليه تعطيل الانتاج فى الدول المقترضة ، وتأخر قيام مشاريعها فتختل التقديرات الموضوعة فى الخطة العامة ، أو تجد الحكومة أن العملات الصعبة التي كانت تحرص على توفيرها قد امتنعت أسباب توفرها ، فالسلع التي كانت ستوفر عليها الاستيراد من الخارج أو ستقوم بتصديرها فتزداد بذلك حصيلتها من العملات الصعبة لم تنتج بعد ، فتستمر الدولة فى الاستيراد بل تضطر الى زيادة وارداتها ـ نتيجة لارتفاع القوة الشرائية ـ ويزيد العجز فى ميزانها التجارى ، وكثيرا ما يضطرها ذلك الى تعطيل تنفيذ سياسة التصنيع أو تمديد فتراتها ، وتسعى لسداد ديون وفوائد هذه الديون أولا محافظة منها على سمعتها الدولية ، كما تعمل على تنفيذ

سياسات التقشف فى الداخل فتمتنع عن استيراد الكماليات وتعمد الى تصدير بعض الضروريات لتعويض ما فقدته من نقد أجنبي ، وكل هذا يثقل كاهل الشعوب الفقيرة ويزيد من ضنكها .

وهكذا ترى كيف أصبحت القروض عاملا قويا فى زيادة الرفاهية للدول الغنية وارهاق شعوب الدول الفقيرة واستنزاف مواردها .

وأحب أن اؤكد معنى هاما أود ألا يغيب على القارىء وهو انني أتعرض للقروض الدولية من جانبها الاقتصادى فقط ، أما الجوانب السياسية والعسكرية والقروض التي تقدمها الدول الكبيرة لأسباب استراتيجية ولتعزيز مراكزها ضد الدول الكبرى الأخرى فهذا شيء آخر لا أتعرض له فى هذه العجالة .

كما أود أن أؤكد أيضا أن الشروط القاسية التي تضعها الدول الغنية وتفرضها على الدول المقترضة لا تقل فى ضررها عن سعر الفائدة المرتفع ولذا نرى أن آية تحريم الربا قد قرنت الاثنين معا كما سنوضح فيما بعد .

قروض البنك الدولي ومؤسسة التنمية الدولية

انشىء البنك الدولي للانشاء والتعمير فى اعقاب الحرب العالمية الثانية بقصد اعانة الدول الأعضاء على تعمير المناطق التي دمرتها الحرب ، والنهوض بالبلدان المتخلفة اقتصاديا ، وتشجيع التبادل التجارى الدولي ، ورفع مستوى المعيشة بين الشعوب .

ويقوم البنك بتقديم القروض للدول صاحبة المشاريع الاقتصادية مباشرة أو بضمان قروض لهذه المشاريع تقدمها مؤسسات أهلية ، وقد يشترك البنك الدولي مع الرأسمال الخاص فى التمويل .

واذا نظرنا الى هذه الأهداف بدون التعمق فى التفاصيل نجد أنها تتفق تماما مع مبادىء ديننا الحنيف فى التكافل والتعاون ، ونحن نجد بين أبواب الزكاة ما يغطي هذه الأهداف ، كما نجد فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأعمال والأقوال ما يضمن تحقيق ما هو أبعد بكثير من هذه الأهداف .

ولكننا اذا انتقلنا من الغايات الى الوسائل التي يتبعها البنك نجد أنه يقرض بسعر فائدة مرتفع يصل الى ٦٪ سنويا حيث أن البنك يقوم بسياسة الاقتراض لتغطية قروضه فيطرح الأسهم والسندات بسعر فائدة معين ثم يعود فيقرض هذه الأموال بسعر فائدة أعلى كما أن القروض التي يقدمها البنك يشترط قبل تقديمها توفر كثير من الضمانات التي تعجز أغلب الدول النامية عن توفيرها هذا علاوة على أن مدة القروض قصيرة أو متوسطة الأجل .

وقد أحست الدول المتخلفة اقتصاديا أن قروض الدول الغنية والبنك الدولي تشكل بالنسبة اليها عبئا كبيرا فبدأت تناضل فى عالم يقدس المال وصاحبه ولا يأبه للفقير وحاجاته ، وقد عزز هذا النضال ازدياد عدد الدول المستقلة حديثا فى الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة .

واستجاب البنك لندائها المتواصل الملح وأنشأ فى عام ١٩٥٩ مؤسسة لتمويل المشاريع الاقتصادية فى هذه الدول ورصد لها رأسمال قدره ألف مليون دولار ووضع شروطا للاقراض اكثر يسرا من قروض البنك ، فالمؤسسة تمنح قروضها لمدة خمسين عاما ، ولا تبدأ الدولة المقترضة فى السداد الا بعد عشر سنوات من موعد الاستحقاق ولا تدفع فوائد فى هذه السنوات العشر ثم تدفع ١٪ فائدة سنويا فى العشر سنوات التالية و ٣٪ فى الثلاثين سنة الباقية ويتم السداد بمعدل ٢ ١/٢ ٪ من قيمة القرض لمدة أربعين عاما .

ولا شك أن هذه الشروط فيها كثير من التيسير على الدول النامية غير أن مبلغ ألف مليون دولار يعتبر مبلغا ضئيلا لتمويل مشروعات الدول النامية التي تقدر بثلاثة آلاف مليون دولار سنويا ، لكي ترفع من دخلها القومي بنسبة أكبر من زيادة عدد السكان فيها ، وأخذت مجموعة الدول النامية تقوى ويشتد عودها فى الأمم المتحدة ولكن مصالح الدول الصناعية الغنية كانت دائما ما تقف عقبة أمام تحقيق التطور المنشود وازالة العقبات من الطريق .

القروض وسعر الفائدة فى مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية

استمرت الدول النامية فى كفاحها ضد التخلف والجوع والأمراض الاجتماعية المستشرية فى شعوبها وفى كل عام تزداد حاجتها للقروض والمعونات الأجنبية وتزداد بالتالي اعباؤها فى سداد الديون .

كما أخذت الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة تزداد يوما بعد يوم ، فالأولى فى تقدم متزايد والثانية لا تكاد تحس أنها خطت الى الأمام خطوة أو خطوتين .

وكان من بين الجهود الكبيرة التي حققتها الأمم المتحدة فى السنوات الأخيرة نتيجة لضغط الاكثرية العددية من الدول النامية عقد مؤتمر كبير فى ربيع ١٩٦٤ فى جنيف لمدة ثلاثة شهور ضم (١٢٠) دولة وجميع الوكالات المتخصصة للأمم المتحدة ، وناقش مشاكل الدول النامية فى مختلف شؤون التجارة والتنمية الاقتصادية .

وناقش المجتمعون جميع المسائل بصراحة ووضوح ، وأصبحت المشاكل جميعها معروفة وحلولها مرسومة ، وبقي أن توافق الدول المتقدمة وتسلم بأن عليها واجبا لا بد أن تفي به وتؤديه ، كما أن التعاون الوثيق المستمر بين ٧٧ دولة فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية سيصل ولا شك الى اعتراف الدول المتقدمة بهذا الواجب فى المستقبل ان شاء الله .

وقد كون المؤتمر لجنة لدراسة مشاكل التمويل والقروض والمساعدات المالية للدول النامية وانتهت اللجنة الى اصدار بعض التوصيات الهامة بعد أن عرض عليها ما يزيد عن ١٠٠ اقتراح نذكر منها : ـ

ـ يجب ألا يزيد سعر الفائدة فى القروض الدولية عن ٣٪ سنويا .

ـ يجب على الدول والهيئات التي تقدم القروض أن تقبل سداد الديون عينا فى صورة بضائع تنتجها الدول النامية وبصفة خاصة منتجات المشاريع التي غذتها بقروضها .

ـ تقبل الدول التي تمنح القروض سداد جزء من ديونها بالعملات الوطنية للدول المقترضة .

ـ لا تقل مدة القروض عن ٢٠ سنة .

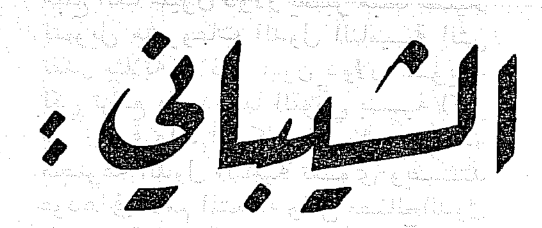
ـ يجب أن تقترن الهبات بالقروض فى حالات الدول النامية التي لا يمكنها سداد القروض .

ـ يجب ألا تفرض الدول المقرضة شروطا بشأن النقل والتأمين على الدولة المقترضة ، بل تترك الأخيرة حرة فى نقل بضائعها على السفن التي تختارها والتأمين فى شركات التأمين التي تفضلها .

ـ يجب أن توافق الدول المقرضة على تجميع قروضها للدول المقترضة وتوحيد السداد على فترات طويلة وبطرق ميسرة .

ونود أن نوضح مرة أخرى بأن هذه التوصيات لم تجد حينئذ قبولا وموافقة من الدول المتقدمة التي تقدم القروض ،

البقية على ص ٧٧



الفقه الاسلامي ثروة عالمية فى مجال التقنين والتشريع .. وهذا المقال عن الشيباني الفقيه المسلم يبرز خصائص التشريع الاسلامي على المستوى العالمي ..

وحسب الشيباني تقديرا أنه تتلمذ على أبي حنيفة ومالك وتلقى عنه الشافعي .. وأن فقهاء القانون الدولي فى مختلف بلاد العالم أسسوا جمعية باسمه للتعريف به واظهار آرائه ، ونشر مؤلفاته .

((الوعي الاسلامي))

فى جوتنجن بألمانيا ...

تأسست ((جمعية الشيباني للقانون الدولي)) وضمت فقهاء القانون الدولي والمشتغلين به فى مختلف بلاد العالم،واختير لرئاستها الفقيه المصرى الدكتور عبد الحميد بدوى ...

وتهدف الجمعية الى التعريف بالشيباني واظهار آرائه ونشر مؤلفاته فى مجال القانون الدولي ....

فمن هو ((الشيباني)) الذى لقى هذا التقدير العالمي الكبير ؟ ؟

ميلاد رجل .... مع ميلاد دولة :

ولد محمد بن الحسن الشيباني فى واسط من العراق عام ١٣٢ هـ ، وهو العام الذى شهد نهاية دولة الأمويين وقيام دولة العباسيين .

ونشأ محمد بالكوفة التي كانت مركزا متألقا من مراكز النشاط الفكرى الاسلامي ، وكانت ملتقى كبار علماء الدين واللغة من أمثال أبي حنيفة وأبي يوسف والثورى والكسائي والفراء وثعلب ، وفى هذا (المناخ) الفكرى تنفس محمد بن الحسن ....

وكان أبوه قد خلف له ثروة أنفقها فى طلب العلم ...

* لازم أبا حنيفة ٤ سنوات حتى توفى ١٥٠ هـ ، فواصل الدرس على صاحبه الفقيه الكبير « أبي يوسف » .

* وقصد الشام طلبا لعلم الأوزاعي ، كما طلب علم سفيان بن عينية فى مكة وعبد الله بن المبارك فى خراسان . بجانب ما أفاده من علم الكثيرين بالبصرة .

*** ثم قصد ((المدينة)) حيث تلقى عن مالك ، ولازمه ٣ سنوات ، وسمع منه الموطأ مرات . فاستفاد من فقه الحجاز ، كما استفاد من فقه العراق ، ودرس فى مدرسة ((الرأى)) كما درس فى مدرسة ((النصوص)) .**

وعاد محمد بن الحسن الى العراق ، فاشتهر ، وأقبل عليه طلاب العلم وكان ممن أخذ عنه أسد بن الفرات الفقيه المجاهد الذى قاد جيش المسلمين لفتح صقلية والذي دوّن (الأسدية) التي كانت الأصل لمدونة (سحنون) فى الفقه المالكى وكان الشافعى من بين من تلقى العلم

والقانون الدولي

للاستاذ ـ فتحي عثمان ـ
القاهرة

عن محمد بن الحسن . وقد أفاد من علم محمد كثيرون آخرون من أهل العلم : مثل أبى حفص الكبير الذى درس عليه البخارى ، وأبى سليمان الجوزجاني الذى انتشرت عن طريقه الكتب الستة فى الحديث ، وأبى عبيد القاسم بن سلام صاحب كتاب (الأموال) ويحيى بن أكثم واسماعيل بن توبة وغيرهم .

وقد ازدهر فقهأبى حنيفة وأصحابه فى حكم الرشيد ، فكان ((أبو يوسف)) مستشار الخليفة بلغة عصرنا ، وكان يشغل منصب قاضي القضاة كعمل رسمي ، وهو الذى كتب للخليفة كتاب ((الخراج)) ليكون دستوره فى السياسة الاقتصادية والمالية . ويعتبر هذا الكتاب ، بجانب كتاب آخر بنفس الاسم ليحيى بن آدم القرشى ، وكتاب ((الاموال)) المشار اليه لأبى عبيد القاسم بن سلام من ذخائر التراث الاسلامي فى الفكر الاقتصادى .

وتولى محمد بن الحسن قضاء ((الرقة)) في عصر الرشيد . لكنه أغضب الخليفة فى فتوى ... انه رفض أن يساير القوم فى اباحة نقض العهود ، اذ كانوا ينزعون نزعة ((مكيافيلية)) فى تأمين خصومهم ثم البطش بهم . فعزل عن القضاء ، وفتشت كتبه لعلهم يجدون دليل تواطؤ مع (الطالبيين) فى ثوراتهم . ولكن استقامت علاقة محمد بن الحسن مع الرشيد بعد ذلك ، وتولى منصب قاضي القضاة بعد وفاة أبي يوسف . ومات فى عام ١٨٩ هـ خلال رحلة صحب فيها الرشيد الى الري ، ومات الكسائي فى هذه الرحلة أيضا .

القانون الدولي :

هذا عن محمد بن الحسن .. فماذا عن القانون الدولى ودور الاسلام فيه ؟؟ ان الدكتور محمد حميد الله الحيدر أبادى قد درس هذا الموضوع ، ونال فيه درجة الدكتوراه من جامعة بون ، وله كتاب قيم بالانجليزية أسماه ((سيرة الدولة الاسلامية فى المجال الدولى)) Moslim Conduct of state قدمه الى القراء بقوله :

((لم يكن هناك قانون دولي فى أوربا قبل عام ١٨٥٦ م ، ومن المسلم به أن ما كان هناك قبل ذلك ليس الا مجرد قانون للأمم المسيحية . ففي عام ١٨٥٦ م حدث للمرة الأولى أن اعتبرت دولة غير مسيحية ـ هي تركيا ـ أهلا للانتفاع من القانون الأوربى العام للأمم ، وكانت هي البداية الحقيقية لتحويل القانون العام للأمم المسيحية الى قانون دولى عام . ولا يعنى هذا أن القانون الدولى بمضمونه الحديث قد ولد فى ذلك الزمان والمكان وانما تحقق وجوده من قبل فى بقعة أخرى .

ان الاسلام قد اعترف لكل الدول ـ بصرف النظر عن الدين والجنس ـ بنفس الحقوق والالتزامات . فعلى خلاف أية أمة قديمة ، لم يعلن المسلمون قانونهم للأمم من أجل تحديد سياسة

الدولة الاسلامية وحدها ، ولا على أساس أسقاط الدول غير المسلمة من الاعتبار ، بل ان القانون الدولي ليدين كذلك للمسلمين العرب فى العصر الأموي باعتباره **علما منفصلا مستقلا** فهم قد فصلوا بينه وبين علم السياسة وبين القانون بوجه عام ، **وان لم يجردوه من أساسه الأخلاقي .**

ويتتبع الدكتور الحيدر أبادى العلاقات الدولية فى التاريخ ... المعاهدة المعقودة بين رمسيس الثاني (١٢٩٢ : ١٢٢٥ ق.م . وملك الحيثيين ... العلاقات بين الفينيقيين والاغريق ... علاقات العبرانيين مع سكان فلسطين وحروبهم التي أعملوا خلالها القتل فى الشيوخ والنساء والأطفال فى عقر دورهم (التوراة صمويل : ١٥ مثلا) .... والعلاقات بين الدول المدن فى اليونان وتأسيس عصبة أمم اغريقية بين هذه المدن ـ مع النظر الى غير الاغريق باعتبارهم برابرة ، ومعاهدات الرومان ـ التي كان بغيرها لا يأمن الأجنبي على حياته أو ماله داخل اقليم روماني « ويمكن القول بأن القوانين الرومانية للسلم كانت أكثر انتشارا وبوجه خاص القانون الدولي الخاص ، أما قوانين الحرب فقد كانت فى أغلبها من ثمار فكر فردى هو فكر القواد المختلفين ، ويمكن أن نتعقب قواعد السلوك بين المتحاربين خلال الحروب التي شنها الرومان على الفرس وعلى غيرهم » .

وبالنسبة الى العرب ، يلاحظ الدكتور الحيدر أبادى أن حرص العرب الشديد على الأنساب كان يستثير العزلة المدنية ، وقد أدت روح الانفصال والعزلة الى تعذر الوحدة السياسية للعرب قبل الاسلام . وعند قيام الاسلام كانت الممالك التي قامت فى اليمن قد تفككت . وعلى الرغم من حياة الصراع المستمر بين القبائل فقد وجد لدى العرب نزوع الى حياة السلم تمثل فى « الأشهر الحرم » و « خفارة » طرق القوافل ، و (الايلاف) أو المواثيق التي كان يعقدها أهل مكة تأمينا لقوافلهم خلال الطرق التي تسلكها الى اليمن أو الشام ، و « الاحلاف » القبلية ومنها « حلف الفضول » الذى شهده محمد قبل بعثته و « الاسواق » التي كانت تجمع العرب فى أماكن معينة خلال مواسم معينة والتي رأى فيها الدكتور الحيدر أبادى نوعا من الاتحاد الاقتصادى لشبه جزيرة العرب .

وميزة النظام الحديث فى القانون الدولى أنه يعرف للمحارب حقه ، فقد تأتى حالة الحرب على بعض الحقوق ، ولكن ثمة حقوقا متعددة للدولة المستقلة تبقى دون أن تمس ، حتى لو وجد الطرفان نفسيهما فى حالة الحرب . وقد كان القانون الروماني لا يعترف بحقوق للمحاربين ولا يعرف للعدو غير الروماني سوى الحذر والتربص . ولم تؤثر تعاليم الحب المسيحي فى واقع العلاقات الدولية ويذكر جروسيوس Grotius أبو القانون الدولي الحديث فى مقدمة كتابه (قانون الحرب والسلم) المنشور ١٦٢٥ م : ان الأمم المسيحية فى وقته كانت تسلك فى حروبها طرقا قد يخجل منها البرابرة أنفسهم ! !

وجاء الاسلام :

وجاء الاسلام دعوة عالمية ....

*** كتابه : بلغة العرب ولهجة قريش ، لكن أولى آياته تحمل دعوة تتعالى على كل الحدود :**

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » ... « علم الانسان ما لم يعلم » .

واستهلال سورة « بسم الله الرحمن الرحيم » ورحمة الله وسعت كل شيء وفاتحته « الحمد لله رب العالمين » .

*** ونداء الاسلام : دعوة عامة للفلاح يرددها الأذان خمس مرات كل يوم .**

*** وشعائره : صلاة تتأكد فيها المساواة نفسيا من الأعماق ، وزكاة تعمل على تذويب الفوارق فى الواقع ، وحج يجمع المؤمنين من شتى البلدان والأقوام .**

*** وشريعة الاسلام : لا تتعصب ضد بلد أو ضد أمة « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم » وهي لا تضيق باختلاف الأديان اذا برىء من العدوان « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين ».**

*** والمجتمع الاسلامي الأول : كان يضم بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي بجانب أساطين العرب .**

وهكذا جاءت دعوة الاسلام عالمية تنادى العالمين :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » .

ومن أجل هذا أرسل رسول الاسلام رسلهوكتبه الى من حوله من ملوك الأرض ! !

وبينما كان المسلمون يعانون من كفار قريش ما زاغت منه الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، كان القرآن يبسط أمامهم الأفق والأمل ، ويفتح أعينهم على العالم الرحيب :

« غلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » .

والقانون الدولى يفترض وجود مجتمع دولى ... والإسلام بدعوته الانسانية العالمية قد هيأ المجال النفسي الفكرى والمجال الواقعي لنشاط القانون الدولى ، ثم مارس الاسلام بشريعته صور التعاون الدولى :

* فالمعاهدات : الثنائية والمتعددة الأطراف محترمة مصونة بأمر الاسلام « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » .

* والتعاون الدولي : مفترض مفروض فى شتى المجالات ، فالبحار مفتوحة للناس أجمعين « والفلك التي تجرى فى البحر بما ينفع الناس » والفقه الاسلامي يقوّم فى مال غير المسلم من الخمر ولحم الخنزير ما يهدره بالنسبة للمسلم ، والاتصال الفكرى مطلوب بكل سبيل اذ « الحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو أحق بها » .

* والسلم : هو الأصل فى العلاقات الدولية « يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » والاسلام يقيم عدالة دولية لصيانة السلم العالمي عن طريق الاحتكام الى الرأى ثم الالتجاء الى القوة للردع « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين » .

* والحرب : مشروعة بحكم الضرورة التي تبيح المحظور ، فلا بد من اجازة استعمال القوة فى حالة الدفاع « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين » فاذا نشبت الحرب كان للاسلام تعاليمه التي لا تقتل امرأة ولا صبيا ولا كهلا ولا راهبا غير مقاتل ، ولا تتبع مدبرا ولا تجهز على جريح . والاسلام يواصل هدايته بالقول والخلق حتى فى ميدان القتال « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » فاذا بدرت بادرة للاقلاع عن العدوان وجب الرجوع الى الأصل وهو السلم « فان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

وجاء واقع الاسلام التاريخي يخلق المجال التطبيقي لشريعته الدولية فلقد حارب المسلمون فى جزيرة العرب وفى العراق وفارس والشام ومصر وبلاد المغرب وفى غير ذلك من الأرجاء ما بين الأندلس وديار الهند ، وحارب المسلمون المشركين والمرتدين والبغاة والخوارج وفى ظل هذه العمليات الحربية وما صاحبها وتلاها من علاقات دولية نما الفقه الاسلامي ليلبى الاحتياجات الجديدة. ونحن نرى تراث هذا الفقه زاخرا بأحكام السلم والحرب ، وأحكام أهل الذمة وأهل العهد والمستأمنين والمحاربين ، وولاية الجند وقسمة الغنائم والفيء ، وأحكام الأرض التي فتحت عنوة والتي فتحت صلحا ، الى آخر هذه المباحث التي يعنى بها القانون الدولى العام والقانون الدولى الخاص (الجنسية ومركز الأجانب ، تنازع القوانين) . وقد كانت القواعد التي تحكم سير الدولة فى المجال الدولى تعالج فى كتب الفقه الاسلامي تحت عنوان (السير) ، ومن هنا أتت تسمية الكتاب الشهير لمحمد بن الحسن الشيباني (السير) .

السير ... أو العلاقات الدولية فى التراث الاسلامي :

وقد استعمل أبو حنيفة (المتوفى ١٥٠ هـ) مصطلح (السير) لتمييز مجموعة دروسه التي تتناول قواعد الاسلام فى الحرب والسلم ، وقد ورد نفس الاصطلاح بنفس الاستعمال فى الكتاب المنسوب لزيد بن على المتوفى ١٢٠ هـ باسم

(المجموع) . وقد نشرت دروس أبي حنيفة منقحة على أيدى تلاميذه ، وقد نقد فقيه الشام الأوزاعي (المتوفى ١٥٧ هـ) آراء فقيه العراق ، فردّ عن أبي حنيفة تلميذه الكبير أبو يوسف (المتوفى ١٩٢ هـ) في كتابه (الرد على سير الأوزاعي) ، ويشير الشافعي الى هذا الكتاب والى كتاب (السير) للواقدى (المتوفى ٢٠٧ هـ) . والف محمد بن الحسن الشيباني (السير الصغير) و (السير الكبير) . ومن ثم يبدو أن الكلمة قد صارت مصطلحا فنيا يشيع استعماله بين الفقهاء ، ويقول محمد بن أحمد السرخسي (المتوفى سنة ٤٨٣ هـ شارح السير الكبير لمحمد بن الحسن) في كتابه (المبسوط) :

((اعلم أن السير جمع سيرة ، وبه سمى الكتاب ، لانه بيّن فيه سيرة المسلمين في المعاملة مع المشتركين من أهل الحرب ، ومع أهل العهد منهم من المستأمنين وأهل الذمة ، ومع المرتدين ، ومع أهل البغى ...)) . ويستعمل مصطلح (سيرة) عند المؤرخين للدلالة على سيرة الرسول بوجه خاص ، وفي (المحيط) لرضى الدين السرخسي أن هذا المصطلح ((في عرف الشرع متى أطلق يراد به طريقة رسول الله في مغازيه على الخصوص)) .

وفي التراث الاسلامي كتب تتعرض لموضوعات من القانون الدولي : منها كتب (المغازى) وكتب (الجهاد) ومن مؤلفيها عبد الله بن المبارك (المتوفى ١٨١ هـ) والطبرى (المتوفى ٣١٠ هـ) والكرماستى (المتوفى ٩٠٦ هـ) وابن الخطيب (٩٠١ هـ) ، وهناك ما تضمنته المباحث المتعلقة بالموضوع من كتب الفقه والفتاوى والتاريخ وكتب السياسة ونصائح الملوك والموسوعات مثل نهاية الأرب للنويرى وصبح الأعشى للقلقشندى وغير ذلك .

السير الكبير للشيباني :

تتجلى في مؤلفات الشيباني عمق تفكيره الفقهي ودقة معرفته بالعربية وقد كان من أكثر فقهاء القرن الثانى انتاجا ، وقد أثرت آراؤه في مؤلفات من تلقوا عنه من أصحاب المذاهب الأخرى ، نرى ذلك في (الاسدية) و (المدونة) من مراجع الفقه المالكى وفي كتاب (الأم) للشافعي .

وقد ألف الشيباني (المبسوط) و (الجامع الكبير) ، وملحقه (الزيادات) و (زيادة الزيادات) و (الجامع الصغير) الذى روى فيه ما سمعه عن أبي يوسف رواية عن أبي حنيفة ، و (السير الصغير) الذى روى سير أبي حنيفة ، و (الحجج) في الرد على أهل المدينة بالنصوص وهو مثال مبكر للتأليف في اختلاف المذاهب ، وكتاب (الآثار) ويروى أحاديث عن طريق أبى حنيفة عن ابراهيم النخعي ، و (الرقيات) الذى يتضمن ما عرض له محمد بن الحسن أثناء عمله في القضاء بالرقة .

وآخر ما كتب الشيباني ((السير الكبير)) .

يذكر السرخسي أن كتاب ((السير الصغير)) الذى روى فيه محمد سير أبى حنيفة وقع في يد الأوزاعي فقيه الشام فقال : ما لأهل العراق والتصنيف في السير ؟ ويقول السرخسي ان الأوزاعي كان يقصد أن مغازى الرسول كانت من جانب الحجاز والشام فأهلها أعلم بها ، فبلغ محمد بن الحسن قول الأوزاعي فانصرف الى تأليف ((السير الكبير)) فأخرجه في ستين دفترا .

ويتناول الكتاب أحكام الحرب ، فيعرض لأهل الاسلام وأهل الحرب المشركين وأحكام أسرى الفريقين رجالا ونساء وأطفالا ، واسلام المشركين ، كما يعرض للأمان على اختلاف ضروبه والفاظه والمستأمنين والسفراء وحصاناتهم ، ويعرض للغنائم والصلح والتحكيم والفداء وأحكام السلاح والأراضى التي يستولى عليها أهل الحرب ووضع المسلمين في دار الحرب ، ونقض العهود وجرائم الحرب ، الى غير ذلك مما يتعلق بأهل الحرب وصلاتهم مع المسلمين في الحرب والسلم .

واعتمد الشيباني على نصوص القرآن والسنة ، وعلى سوابق الأحكام في حروب المسلمين وفتوحهم، كما استفاد من (القياس) كمصدر شرعي في الوصول الى أحكام للوقائع التي تعذر الوصول فيها الى نصوص مباشرة .

انسانية .... حتى في القتال :

ان انسانية ((الانسان)) تظهر في تعامله مع الخصوم والأعداء ... والقانون الدولي يعنى بتصحيح أصول التعامل مع المحاربين يورد محمد ابن الحسن وصية أبى بكر لقائد جيشه :

((انك ستلقى أقواما زعموا أنهم قد فرغوا

أنفسهم لله فى الصوامع ، فذرهم وما فرغوا له أنفسهم ...

« ولا تقتلن مولودا ولا أمرأة ولا شيخا كبيرا .

« ولا تعقرن شجرا بدا ثمره ولا تحرقن نخلا ولا تقطعن كرما ...

« ولا تذبحن بقرة ولا شاة ولا ما سوى ذلك من المواشى الا لأكل .. »

ويذكر محمد « ينبغي للامام اذا بعث سرية قلت أو كثرت ألا يبعثهم حتى يؤمر عليهم بعضهم ... وينبغي أن يستعمل على ذلك **البصير بأمر الحرب ، الحسن التدبير لذلك ، ليس ممن يقحم بهم فى المهالك ، ولا ممن يمنعهم عن الفرصة اذا رأوها .... »**

« وينبغي أن يؤمر على الجند : العاقل الفاضل العالم بالحرب الرفيق » .

ويورد محمد حديثا عن النبي يدعو الى تربية الأولاد رياضيا بتعليم السباحة والرمى ، وكلمة لعمر توصي بالفروسيةأيضا . واذا كانت « الحرب خدعة » فان الخداع فى الحرب له حدود لا ينبغي أن يتجاوزها ... يقول محمد « ولو أن رهطا من المسلمين أتوا أول مسالح أهل الحرب ، فقالوا : نحن رسل الخليفة ، وأخرجوا كتابا يشبه كتاب الخليفة ، أو لم يخرجوا وكان ذلك خديعة منهم للمشركين ، فقالوا لهم : ادخلوا ، فدخلوا دار الحرب ، فليس يحل لهم قتل أحد منأهلالحرب، ولا أخذ شيء من أموالهم ما داموا فى دارهم » .

واذا كانت هذه هي السياسة مع المحاربين ، فكيف بالسياسة مع من ربطتهم بالمسلمين عهود ؟ يقول محمد « واذا أودع المسلمون قوما من المشركين فليس يحلُّ لهم أن يأخذوا شيئا من أموالهم الا بطيب أنفسهم للعهد الذى جرى بيننا وبينهم ، فان ذلك العهد فى حرمة التعرض للأموال والنفوس **بمنزلة الاسلام** فكما لا يحلُّ شيء من أموال المسلمين الا بطيب انفسهم فكذلك لا يحلُّ شيء من أموال المعاهدين .

وفقيهنا يقدر (**شرف الكلمة**) الى أبعد الحدود ... انه يقول « امان الرجل الحر المسلم جائز على أهل الاسلام كلهم ، عدلا كان أو فاسقا ، لقوله عليه السلام (المسلمون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ، يسعى بذمتهم أدناهم) ، **والمراد بالذمة العهد مؤقتا كان أو مؤبدا ، وذلك الأمان وعقد الذمة .... ويصح أمان الحرة المسلمة ... ويجوز أمان العبد المسلم** اذا كان يقاتل ، والأمة كالعبد فى ذلك ... واذا أمن رجل من المسلمين قوما من المشركين فأغار عليهم قوم آخرون من المسلمين ، ثم علموا بالأمان ، فعلى القاتلين دية القتلى ، والنساء والأموال مردودة عليهم .... **وانما يتحقق طرح الأمان باعلامهم واعادتهم الى ما كانوا عليه قبل الأمان ...** واذا نادى المسلمون أهل الحرب بالأمان فهم **آمنون جميعا اذا سمعوا أصواتهم بأى لسان نادوهم به** فان الأمان التزام الكف عن التعرض لهم بالقتل والسبى حقا لله تعالى ، والله لا يغرب عنه مثقال ذرة ولا تخفى عليه خافية واذا قال المسلمون للحربى : أنت آمن أو لا تخف أو كلمة تشبه هذا فهو كله أمان ... وكذلك الاشارة ... والكتابة » .

جهاد المرأة :

ومحمد بن الحسن يرضى أن تعينالمرأة المجاهدين بما يتناسب مع طبيعتها وبنيتها ، ويرضى أن تحمل المرأة السلاح فى الميدان عند الضرورة ....

يقول : « لا يعجبنا أن يقاتل النساء مع الرجال فى الحرب الا أن يضطر المسلمون الى ذلك ، ولا بأس أن يحضر منهن الحرب العجوز الكبيرة فتداوى الجرحى وتسقى الماء وتطبخ للغزاة اذا احتاجوا الى ذلك ، لحديث عبد الله بن قرط الأزدى : كانت نساء خالد بن الوليد ونساء أصحابه **مشمرات يحملن الماء للمجاهدينيرتجزن وهو يقاتل الروم » .**

وهو لا يشفق على المرأة من الاقامة فى الأماكن النائية على الاطراف والتخوم مع الرجال المرابطين لحماية الحدود وسدّ الثغور يقول « ولا بأس للذين يسكنون الثغور من المسلمين أن يتخذوا فيها النساء والذرارى وان لم يكن بين الثغور وبين أرض العدو أرض للمسلمين . لكن هذا اذا كانوا بحيث لو نزلت بهم جلبة العدو قدروا على دفع شرهم عن أنفسهم وعن ذراريهم وتمكنوا من أن يخرجوهم الى ارض الاسلام » .

ويعلق السرخسي شارح « السير الكبير » على هذا النص بقوله « لأن ساكنى الثغور يندبون الى

المقام فيها ، وانما يتمكنون من المقام بالنساء والذرارى ، فالنساء سكن للرجال . ولأنهم اذا أقاموا فى ذلك الموضع بالنساء والذرارى كثروا بمرور الزمان حتى يصير ذلك الموضع مصرا من أمصار المسلمين ويتخذ المسلمون وراء ذلك ثغرا بالقرب من العدو)) .

على أن محمد بن الحسن يفرق بين دور المرأة فى حالة (النفير العام) أو (التعبئة العامة) حين تتعرض البلاد لهجوم الأعداء فيكون الجهاد فرضا يتعين على كل فرد ، وبين دورها فى العمليات الحربية الأخرى التي اذا قام فيها البعض بالواجب كفوا الباقين مئونته . يقول : ((والنساء اذا كانت بهن قوة القتال فليخرجن اذا كان النفير عاما .... أما الصوائف (الحملات التي كانت تخرج صيفا للجهاد على حدود الروم) ونحوها فلا ينبغي للشواب أن يخرجن ، فأما العجائز فلا بأس أن يخرجن مع الصوائف لمداواة الجرحى. ولا يعجبني أن يباشرن القتال لأن بالرجال غنية عن قتال النساء فلا يشتغلن بذلك من غير ضرورة ، وعند تحقق الضرورة بوضوح النفير عاماً لا بأس للمرأة أن تقاتل بغير اذن زوجها ، وكذلك الغلمان الذين لم يبلغوا اذا أطاقوا القتال فلا بأس بأن يخرجوا ويقاتلوا فى النفير العام وان كره ذلك الآباء والأمهات)) .

حقوق الأسرى :

وينقل محمد بن الحسن وحماد بن أبي سليمان كراهية قتل الأسير بعدما وضعت الحرب أوزارها . ومن أسانيد ذلك أن عبد الله بن عمر ابى أن يقتل أسيرا وقال : أما والله مصرورا فلا أقتله ، يعنى بعدما شددتموه وأسرتموه فلا أقتله .

ويقرر محمد انه لا يجوز تعذيب الأسير بالعطش والجوع .

من الشرق والى الغرب :

ترى هل انتقلت هذه الشريعة الدولية الانسانية الى أوربا ... حين احتكت بالاسلام فى الأندلس ، وجنوبى أوربا ، وخلال الحروب الصليبية ؟ ؟

ان الفقيه الروسي دى توب يقول فى محاضراته فى أكاديمية القانون الدولى فى لاهاى ١٩٢٦ ((ان النظم المختلفة فى العصور الوسطى الأوروبية تحمل علامة باقية ، ان لم تكن علامة على أصلها الشرقى الخالص البسيط ، فهي على الأقل علامة على اعتمادها القوى على نظم حربية مشابهة لما فى الشرق الاسلامي)) .

والدكتور حميد الله الحيدر ابادى يؤكد ذلك ويقول :

((اننا حين ندرس المؤلفات العربية الأولى فى القانون الدولى وما يتصل به من موضوعات نجد لدينا فكرة جلية عن علاقات المسلمين بالروم (البيزنطيين) وغيرهم فى وقت الحرب والسلم على السواء ونرى كيف كانت الاتصالات تجرى بين الفريقين ليس فقط فى مجال فنون الحرب بل فى مجال قواعد القانون الدولى نفسه ونحن نعثر لأول مرة على رأى مستكمل فى تقرير حقوق العدو فى كل وقت فى الحرب والسلم على السواء ، وهي حقوق تستند الى القرآن والسنة وسيرة الخلفاء . بل يلاحظ أن مؤلفات قوانين الحرب لايالا وفيتوريا وجنتلس وجروسيوس وغيرهم لا نجد لها مقابلا فى الفكر الروماني والاغريقي ، وهي ثمرة عصر لم تكن العبقرية الأوروبية قد وصلت فيه الى ما وصلته الآن ، ونحن لا نرى سوى صدى لكتب الجهاد والسير العربية . وفى هذه الكتب ينبغي أن ننشد الحلقة التي تصل بين عصر الرومان والعصر الحديث ونتعرف على أصل التغيير والخلاف فى مفهوم القانون الدولى الذى ساد العصر ونرى دور الاسلام فى التاريخ العالمي للقانون الدولي !)) .

هل يستغرب اذن أن تقوم فى أوربا ((جمعية الشيباني للقانون الدولى ؟)) .

بقيـة الربـا

ولكن المباحثات والاتصـالات مـا زالت مستمرة وقد شكلت منظمة دولية يتبعها مجلس يرعى شؤون التجارة والتنمية ، وانشأ المجلس لجنة دائمـة لشـؤون التمويل لمتابعة هذه التوصيات والعمـل على حل مشاكل التمويل الدولية .

قروض بلا فائدة

تمت فى السـنوات الأخـيرة بعص القروض بدون فوائد ، فهذهدولةالكويت تقدم لشقيقاتها العربيات عشرات الملايين من الدنانير بدون فوائد مـن الاحتياطي العام ، وهذه الصين الشعبية تهب لدول افريقية وأسيوية قروضا بلا فائدة ، وقد أعلنت أخيرا السيدة بربارة كاسل وزيرة التنمية البريطانية أن حكومتها قـررت تقديم قروض بدون فائدة لبعض الدول النامية ، وأعلن أخيرا أن محادثات تجرى بين بريطانيا والأردن لمنح الأخيرة قرضـا بمليوني جنيه استرليني بدون فوائـد بقصد انشاء محطة كهرباء ، وهناك بعض الأمثلة الأخرى لهذا الاتجـاه الجديد فى سياسة التمويل الدولية .

الحكمة السامية فى آية تحريم الربا

ونعود الآن بعد سوق هذه اللامح السريعة على مشاكل الاقراض الدولي الى الآية الكريمة التي ذكرت فأوعت ولم تترك بابا من أبواب المشـاكل التي يعاني منها المقترض سواء كان فردا أو هيئـة أو دولة الا وضعت لها حلا وعلاجا .

فالله سبحانه وتعالى يقول « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين » وهذا يعني الغاء سعر الفائدة تماما وليس فقط تخفيضه الى حد معين .

ويقول « فان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » .. هكذا يجب أن تكون المعاملة الشريفة، والروح الانسانية بين المقرض والمقترض . يجب ألا يكـون هناك استغلال أو غبن ، بـل يعاد رأس المال بنفس الكم الذى قدم به . ثم يقول « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة » وتشمل الميسرة هنا كل ما سبق ذكره من تمديد فترة السداد ، والسـداد بالعملات الوطنية ، وتوحيد الديون ، والسداد بسلع ومنتجات محلية ... الخ .

ويأتي فى خاتمة الآية هذا المعنى السامي الكريم. « وأن تصـدقوا خـير لكم ان كنتم تعلمون » . لا أظن أن هناك أسمى ولا أرفع من هذه العبارة التي يخاطب بها رب العالمين قلوب المقرضـين ليحثهم على أن يستمروا فى تيسيرهم على المقترض حتى اذا لم يكن هناك شيء من التيسير غير التصدق بالدين واعفاء المدين من سـداد ديونه فعليهم أن يفعلوا ذلك فهـو خـير لهم فى الدنيـا أولا ثم فى الآخرة ثانيا .

وبعد هذا نتسـاءل هـل آن للعالم بشـقيه الغربـي والشرقـي وبمذاهبه المتعددة وشعوبه المختلفة أن يؤمن بحكمة هـذه الآيـة الكريمة ، وهـل سيتجه باخلاص نحو الغاء الربا فى معاملاته المالية الدولية ؟ ؟

وهل سيتم التعاون بين صاحب المال الـذى يفيض ماله عـن حاجته والقادر المحتاج الى المال لاستثمار موارده تحت ظلال معاني الأخوة والتعاون الانسـاني ؟ ؟

وهل ستوجه هذه الملايين التي تجرى وراء سعر فائدة تافه ضئيل للمشاركة فى اسـتثمار المـوارد الطبيعية الهائلـة الموجودة فى أمتنا العربية والاسلامية وفى مختلف بقاع العالم فيعم الرخاء ويسود الاخاء ؟ ؟

نرجو أن يتحقق ذلك فى أقرب وقت بمشيئة الله .

رجعة .. يارب

ربَّـــاه انـــى قد عرفتُـــكَ خفقـــةً فـــى أضلعـــى
وهتفْـــتُ باســـمك يالَـــهُ لحنا يـــرنُّ بمسمعِـــى
أنا من يذوب تحرقـــاً بالشـــوق دون توجـــعِ
قـــد فاض كأسى بالأســـىِ حتى سئمـــتُ تجرعِـــى
يا رب ... انى قـــد غسلت خطيئتىَ فـــى أدمعـــى
يا رب ياتســـبيحتى ... في مســـجدى أو مهجَعِـــى!
يارب إنـــى ضـــارعٌ .. أفـــلا قبِلْـــتَ تضـــرُّعـــى؟!
إن لم تـــكنْ لى فى جراحِـــى مَنْ يكـــونُ إذنْ معـــى ؟!

***

ربَّـــاه كم أمعنتُ فكرى وزرعتُ من نثـــرى وشعرى
أبغـــى جـــنىً حلـــواً فما عادت يـــداى بغيرِ مُـــرّ
ربَّـــاه قـــد عصفـــتْ جراحُ الصدرِ حـــتى ضاق صدرِى
ومضيت في تيهٍ بعيـــد الغـــورِ حتى ضـــاع عمـــرِى

للاستاذ يوسف العظم

وصبرتُ يارباه في الآلام حتى عيلَ صبْرِي
وظللتُ أرقبُ رغم طولِ الحالكاتِ طاوعَ فجرِي
ياكاتباً سِفْرَ السعادةِ والهنا .. جُدْ لِي بسطرِ
ان كنت لاتدرى بِحالى .. ياإلهى .. منْ سَيَدْرِى ؟!

***

يارب في جوف الليالِى .. كم ندمتُ وكم بكيْتْ
ولكم رجوتك خاشعاً .. وإلى رحابك كم سعَيتْ
قد كنتُ يوماً حائراً واليومَ يارب اهتديْتْ
يا رب من لِي غير نوركَ إن ضللت وان غوَيْتْ
واذا نويتُ البرّيا الله فاقبلْ مانويْتْ !!
أنا ان رميتُ ضلالتى فبسهم ربِّى قد رميْتْ
إن كنتَ تعرض جنةً للبيع بالنفسِ اشتريتْ
أو كنتَ تدعونى .. الهى ... للرجوع .. فقدأتيتْ !!



للأستاذ فريد قنصوه
القاضي بالكويت

هجرة المسلمين الى شرق افريقيا

لما اشتد أذى كفار قريش للرسول وأصحابه شجع الرسول صلوات الله عليه أصحابه على الهجرة ، فقال : « من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الأرض استوجب له الجنة » ، وزاد على ذلك قوله صلوات الله عليه : « تفرقوا فى الأرض فان الله سيجمعكم » قال نفر من صحابته : الى أين يا رسول الله ؟ فقال : « ها هنا وأشار بيده الى جهة الحبشة » ، فاتفق عدد منهم على أن يهاجروا مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم ، فمنهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه ، وكان من بين هؤلاء المهاجرين عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، وخرج هؤلاء كما تروى كتب السيرة ، متسللين منهم الراكب ومنهم الماشي حتى انتهوا الى البحر فركبوا سفينتين من السفن التجارية ، وكان خروج هؤلاء المهاجرين الكرام فى رجب من السنة الخامسة من النبوة .

لم تكن هذه الرحلة أول رحلة للعرب الى الشاطىء الشرقي للقارة الافريقية حيث تمتد أرض الصومال والحبشة ، فلم تكن صلة الصوماليين منبتة بالعرب ، ولكن سبقتها ــ عبر القرون الممتدة ــ رحلات ورحلات كانت السفن ، خلالها ، تأتي الى الساحل الشرقي الافريقي بقصد التجارة . تحمل معها منتجات اليمن ، ثم تعود محملة بالمنتجات الافريقية .

وفى عهد الفراعنة كانت السفن تأتي من الصومال محملة بالبخور والتوابل وسن الفيل والذهب وريش النعام ، وكان المصريون يطلقون على أرض الصومال يومئذ اسم بلاد بونت .

ولكن كانت هذه الرحلة الميمونة أول رحلة يقوم بها أتباع الدين الجديد الى افريقية عبر البحر ، وعن طريقها تأكد لسكان ساحل افريقيا الشرقي ما رددته الأنباء التي كان يحملها البحارة

والتجار من أن الله قد أرسل رسولا عربيا الى البشر كافة يدعوهم الى الايمان به وحده لا شريك له ، ويأمرهم بالبر ، وينهاهم عن عبادة الأصنام ، ويحضهم على مكارم الأخلاق ، فاتجهت أنظارهم الى مصدر ذلك الاشعاع الروحي يلتمسون الهداية والرشد ، وسرعان ما خفقت القلوب بهذا الدين الجديد الذى يسوى بين الناس كافة ، فلا يجعل فضلا لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على أسود ، وليس فى شرعته تمييز عنصرى فبدأ القوم يدخلون فى دين الله أفواجا .

انتشار الاسلام فى شرق افريقيا

ولعل أعظم حقبة حقق فيها الاسلام انتشارا فى شرق افريقيا ، الفترة الممتدة بين القرنين الرابع والسادس الهجرى ، ففي هذه الفترة أخذت راية الاسلام تظل المناطق الداخلية من القارة ، فقامت عدة سلطنات وامارات اسلامية على طول الحافة الشرقية والجنوبية للهضبة الحبشية كان من أهمها امارتا عدل وهرر وكانتا — ولفترة طويلة — من المراكز المهمة للتجارة والثقافة الاسلامية .

وفى القرن السادس عشر الميلادى نشب صراع رهيب بين الامارات الاسلامية والحبشة أوشكت فيه الحبشة أن تنتهي كدولة لولا أن استعان امبراطورها بالبرتغاليين الذين تدخلوا لمساعدته .

ويحدثنا المؤرخون ان هجرة العرب الى الصومال ظلت متتابعة نشيطة ، فاستوطن الصومال عدد كبير منهم ، واسسوا عددا من المدن منها مدينة مقديشيو عاصمة الصومال التي أسسها عرب الاحساء ، وأنه بعد أن استقر الأمر للاسلام فى الصومال أخذ الصوماليون الذين تحولوا الى الاسلام يحملون رسالته الى قلب القارة حتى أوشك الدين الجديد أن يعم الحبشة .

وظل شعب الصومال المسلم فى القرنين التاليين يشغل مساحة واسعة من أراضي الساحل الشرقي لافريقيا تطل على البحر الأحمر والمحيط الهادى ، وكان بهذا يتحكم فى مدخل البحر الأحمر من الجنوب ، ويتحكم فى تجارة الحبشة مع العالم الخارجي وفى التجارة بين آسيا وافريقيا ، ولعل هذا المركز التجارى والاستراتيجي الممتاز هو الذى جعل انظار الدول الاوروبية تتجه اليه ، وتتكالب فى العمل على الاستيلاء عليه .

الاستعمار فى الصومال

وبعد أن ظل شعب الصومال ينعم بالأمن والسلام والرواج الاقتصادى والتقدم الثقافى لفترة طويلة شارك خلالها أبناؤه أبناء وادى النيل ووسط افريقية فى حكومة متميزة بنفسها عما سواها بدأ التنافس جليا بين كل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا للاستيلاء على جزء من ترابه ، فمنذ سنة ١٨٣٥ بدأت فرنسا فى أرسال حملاتها الاستكشافية ، وبدأت هذه الحملات فى شراء العملاء ، ثم شراء الأرض ممن لا سلطة لهم عليها ، ولعل أبرز هؤلاء العملاء دنى احمد ابو بكر الذى قام بالتوقيع على معاهدة اوبوك فى ١١ من مارس سنة ١٨٦٢ وتم بموجبها التنازل لفرنسا عن ميناء اوبوك قرب رأس بير مع السهل الممتد من رأس على من الجنوب الى دميرا نظير مبلغ قدره عشرة آلاف ريال أى ما يوازى (٥٠٥٠٠) فرنك فرنسي ، وتعهد المذكور بتسهيل صلات الفرنسيين فى اوبوك مع داخلية البلاد ، وقد اتبعت ايطاليا نفس السياسة التي اتبعتها فرنسا ، أما بريطانيا فقد زادت عليها بأن عملت على جلاء المصريين من الصومال وقطع صلة الصومال بمصر ، كما ساهمت قواتها الموجودة بعدن على احتلال الجزء الذى أعلنت عليه حمايتها من أرض الصومال .

وكان من نتيجة هذا التنافس الاستعمارى أن أصبحت أرض الصومال مقسمة بين كل من ايطاليا وفرنسا

وبريطانيا ، كما ضمت منطقة اوجادين التي كان يسكنها ثلاثة أرباع المليون صومالي مسلم ، ومدينة هرر بعد أن اخلاها المصريون الى الحبشة دون رغبة أهلها ، ودون أى سند من القانون ، وضمت الى كينيا المنطقة التي تكون الآن الجزء الشمالي الشرقي من المديرية الشمالية فى كينيا .

ظل الصومال يعاني مرارة التقسيم وبشاعة الاستعمار ، وصفحات التاريخ فى هذه الفترة مليئة بالحسرة والمرارة ، ولكنها فى نفس الوقت تضم سطورا من نور عن كفاح العديد من المؤمنين من أهل الصومال الذين هالهم ما وصل اليه حال بلادهم نتيجة جهل بعض ابنائه وتفريط البعض الآخر ، فلم يذلوا ولم يستكينوا ، بل جمعوا صفوفهم ، وأعلنوا الجهاد في سبيل الله ، وكان على رأس هؤلاء البطل الكبير الملقب بمهدى الصومال .

كان محمد بن عبد الله بن حسن قائد حركة اسلامية اصلاحية كبرى ، دعا الى تزكية النفوس ، وتوحيد الصفوف ، وازالة القبلية ، والعودة الى التمسك بتعاليم الأسلام ، وتطهير البلاد من مغتصبيها ، فلما اجتمع حوله عدد من الصوماليين ، أعلن الجهاد ، وراح ومن معه من المجاهدين يهاجمون مواقع المستعمرين فى الصومال الفرنسي تارة والبريطاني تارة أخرى والايطالي تارة ثالثة ، بل شملت هجماتهم المناطق المجاورة للحبشة ، وكان من نتيجة ذلك أن اصبح المستعمرون فى رعب دائم مستمر حتى اضطرت الحكومة البريطانية الى اصدار الأوامر لقواتها بالصومال بالانسحاب الى المناطق الساحلية حتى تكون فى حماية اسطولها .

وسار البطل من نصر الى نصر وكانت أنباء انتصاراته يتردد صداها فى جميع أرجاء الوطن الاسلامي ، فتسر لها نفوس المؤمنين .

ولكن ما أن وضعت الحرب العالمية أوزارها حتى نسقت الدول الاستعمارية الثلاث جهودها للقضاء على حركة الكفاح الصومالي ، وساندتها فى ذلك عوامل لم تتوافر للمجاهدين من ابنائه ، منها توفر الأسلحة الحديثة والطائرات لديهم ، وخروجهم منتصرين من الحرب العالمية ، وما لاقاه المجاهدون بسبب طول مدة الجهاد ، فتمكنت قوات الغدر والوحشية فى سنة ١٩٢٠ من قتل البطل المجاهد بعد كفاح مرير باسل .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن ننوه بالدور المهم الذى لعبه رجال التبشير المسيحيين فى مساندة المستعمرين والتمكين لهم فى أثناء عمليات الاغتصاب التي انتهت باحتلال الصومال وغيره من الدول الافريقية .

واستمر المستعمرون يستنزفون خيرات الصومال،ويسخرون الصوماليين فى خدمة مصالحهم دون أن يعنوا بنشر التعليم بينهم أو النهوض باقتصادهم أو العمل على المحافظة على صحتهم ، الى أن انتهت الحرب العالمية الثانية .

وعلى الرغم من أن الصوماليين قد اسهموا مساهمة فعلية فى اخراج الايطاليين من الصومال الايطالي ، وفي اجبارهم على التسليم فى الصومال البريطاني ، وعلى الرغم من أن الدعاية البريطانية كانت تبشر بقرب قيام دولة الصومال التي تجمع تحت لوائها الصومال البريطاني والصومال الايطالي والجزء الذى كانت الحبشة قد اقتطعته من أرض الصومال ، فقد كانت الصدمة عنيفة على نفوس أهل الصومال عندما تقدمت فرنسا باقتراح فرض وصاية دولية على الصومال الايطالي تتولى الادارة خلالها ايطاليا ! ! وساندتها روسيا فى اقتراحها فأصدرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة قرارها فى سنة ١٩٥٠ بأن يصبح الصومال الايطالي دولة مستقلة ذات سيادة ، ويصبح هذا الاستقلال نافذا فى نهاية عشر سنوات من موافقة الجمعية

البقية على ص ٩٢

العصبية القبلية

وأثرها في الشعر الأموي

للدكتور زكي المحاسني

كتاب ضخم قيّم ونفيس الفه الدكتور احسان النصّ وحاز به على درجة الشرف الأولى بالدكتوراه فى الآداب من جامعة القاهرة .

ولقد وقف بيني وبين هذا الكتاب بيت لأبي تمام الطائي شاعرنا القديم العظيم ، قاله فى كريم مانح ، عطاياه سمحة غزيرة :

هو البحر من أى الوجوه اتيته   فلجّته المعروف والجود ساحله

وليس البحر الذى اريد هو ابو دلف العجلي ممدوح ابي تمام ، وانما هو هذا الكتاب الكبير الذى اوعى الدراسات المتعاقبة ، وجمع الفصول المتلاحمة فى موضوعه العسير ، ذى القباب والشعاب، فلقد شغلت العصبية القبلية شعرنا العربي فى الجاهلية والاسلام ، واقامت دنيا أدبنا واقعدته ، فى طويل العصور ، فكانت تغيّر معالم السياسة ، وتزحزح اركان الخلافة او تثبتها وكانت العصبية القبلية مجالا متوسعا للخلاف النسبي وتطاحن الرجال وتلاحم السيوف ، في سبيل السلسلة النسبية التي كان يحرص المنسوب اليها على كل حلقة من حلقاتها ولو تكبّد فيها المشقة حتى يرقى بنسبه الى آدم .

ولقد جاء الاسلام بتعاليمه الاشتراكية الحكيمة التي جعلت السيادة للاخلاق والفضائل وارادت ان تبعد عن التمسك بالانسال ، فكان من هذه التعاليم القول المأثور منها : « لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » .

غير ان عصبية النسب على القبيلة التي تجمع وحدتها وتصرّف أمورها ، قد غابت قليلا أيام الحكم الراشدى بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بقليل ثم هبت من مكامنها لتجرف كل شيء فكانت

القبلية في عهد الخلفاء الراشدين ثم في العصر الاموى ثائرة كالأعصار ، تأخذ في سبيلها كل حائل وتقيم الحكم،وترسي مقادير السلطة على أساسها المتينة التي تعلو بها الاصلاب حتى اعماق الجاهلية . ولقد بلغت ساحات الوغى فكانت قطع الحروب تسير وفاقا لها فاذا اصطف الجيشان المتقاتلان كما كانت تصنع جيوش الخوارج الثائرين وجيوش الامويين في الشام والزبيريين في العراق وبرز فارس من هؤلاء لقتال فارس من اولئك ، فاذا لم يكونا ندّين وفارسين منسوبين ، تعلو بكل منهما عروقه الى مضر ونزار او الى بكر او قيس عيلان من عدنان ، انف كل منهما قتال الآخر ، حتى يبرز للخصم عديله في النسب والجاه والسلاح .

وقد عاش الشعر العربي في العصر الأموى تعجّ عجاجاته وتروى قصائده وملحماته ، ويتداوله الأدب بمجالسه في دور الخلافة وبيوت العلم والمساجد الجامعة وفيه تلك النقائض التي عاش عليها الفرزدق وجرير والأخطل وابن ام غسان ومع كل واحد منهم عديد ينضح بالقصيد نضح النبال ، كل هذا الشعر في حماساته وذخره ، وفي وصفه وتصويره جعل الدكتور احسان النص كتابه فيه .

ولهذا فقد يتهيّب الدارس الكلام على مثل هذا الأثر الضخم ، حين يريد ليحلله بمقال فيحار كيف يلم به ولا يترك شيئا وبحسبي في هذه السانحة ان اجول في الكتاب تجوال الفراش على الزهر يكفيه منه مسّ الرحيق ويبقى الروض مضخما ومحلى بجماله .

يبدأ المؤلف النابغ كتابه بتحليل الحوافز التي نزعت به الى اختيار هذا الموضوع بان الشعر العربي كان مرآة العرب وديوانها ، فكان من الطبيعي ان تنعكس الحياة الفكرية والعملية في صور هذا الشعر فتجلت به النزعة القبلية والعصبية النسبية في شعر العصر الأموى حيث غلت هذه النوازع واحتدمت اكثر من كل عصر في تاريخ العرب والاسلام .

ووجد ان عليه ليمهد لبحثه المتعب ان يعني بدراسة الانساب عند العرب . ولقد تقدمه في العصور القديمة علماء وقفوا حياتهم على تأليف المجلدات في علم الانساب عند العرب فكانوا هم النسّابين وقد راح الدكتور المؤلف يجوب هذه الكتب ليحقق في التمهيد لكتابه مكانة الانساب عند العرب وغلوهم في تقديسها حتى العبادة .

ثم اخذ يدرس المجتمعات القبلية واثرها في السياسة والحكم ، وصورها في الشعر الذى كان يشبه الصحف السياسية في ايامنا ، بل لعله كان ابعد شيوعا واعلى شأنا ، لانه يتصل بالادب نفسه وبتاريخه ولا تتداوله الايام لتهمله بعد حين ، وانما ليضم الى سجل التراث العربي المقيم زمنا بعد زمن .

وحين استوفى الكلمات على العصبيات والقبليات وما كان لها من مكانة وتأثير عقد فصلا اضافيا مستقلا للقصائد والشعر الذى صدر عن تلك العصبيات ، وكان لكل ذلك التأثير البعيد في سياسة الدولة وفي ايقاد الخصومات الدموية وحقنها ، فجاء على ذكر الهجاء والمديح والفخر والرثاء في فنون الشعر واغراضه،

وكيف كان الشعراء الأمويون كل يكيل للآخر قصيدة هجاء وفخر من البحر والروى الذى تلقاه وبخاصة فى القصائد التي تسمى « النقائض » .

وقد نظرت فى مصادر المؤلف فى البحث والتأليف فوجدته ذكر المصادر القديمة باعيانها والحديثة بما يتصل بموضوعه وكان احتفاؤه بالمصادر القديمة والحديثة على السواء ، وان يكن فاته بعضها الحديث ككتاب ((آلات الحرب والقتال عند العرب))للدكتور عبد الرحمن زكي وكتاب ((شعر الحرب فى أدب العرب)) للمحاسني ، وكلا الكتابين من المصادر الجامعية التي يجب الاعتماد عليها ولهما الصلة الوثيقة فى بحثه الرائع . ولم يزود كتابه بالفهارس العلمية التي تعود الجامعيون ان يردفوا آثارهم بها ، ولعله يستدرك كل ذلك فى الطبعة الآتية من هذا الكتاب الجليل ، ولئن فاتته الفهارس العلمية التي توضح اسماء الأعلام والاماكن والكتب ، فقد الحق بكتابه كشوفا للانساب العدنانية جميعا والقحطانية ومخططا تصويريا لبلاد العرب ومواطن القبائل العربية قبل الاسلام ، وكان هو الصانع لهذه الثبوت العلمية القيمة وقد جاء كتابه فى نحو ستمئة وخمسين صفحة من القطع الكبير .

على اني لست ارى انتهاء العصبية القبلية فى العصر الأموى الا من حيث اخذ السلطة بها اخذا وثيقا لتقوم عليها اذ كنت اقول لئن كان العصر الأموى مجتمع العصبية القبلية ، وتطاحن بعضها ببعض ، من اجل الحكم والسلطة ، فاني اجد العصر العباسي استمرارا للعصبية بتطاحنها مع الاعاجم الذين كانوا يحاولون الاستيلاء على الحكم فى ديار العروبة والاسلام ، كما كان ينتوى البرامكة ، ولعل الاستاذ الكبير الدكتور احسان النص يوافي الدراسات الأدبية المعاصرة التي تفاخر باثره ، بمؤلف جديد عن العصبية وحروبها للشعوبية فى العصر العباسي واثر ذلك فى الشعر ، فلقد كانت لها حروب فى ساحات الأدب لا تقل حميما عن ساحات القتال ، منذ بدأ بالشعوبية بشار ثم تلاه ابو نؤاس الذى يقول حين دعا الى شرب الخمور وترك المآثر العربية القديمة التي عاش عليها الشعر الجاهلي وبعض الشعر الأموى :

لا درَّ درُّ الذى يبكي على حجر
ولا صبا قلب من يصبو الى وتد

وكم اتمنى حين يعيد الدكتور احسان النص طبع كتابه عما قريب ، ان يثبت الى جانب العنوان البيت الذى يدل دلالة جاهرة على موضوع كتابه فى العصبية القبلية واثرها فى الشعر العربي بقول شاعرها :

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

قصة العدد

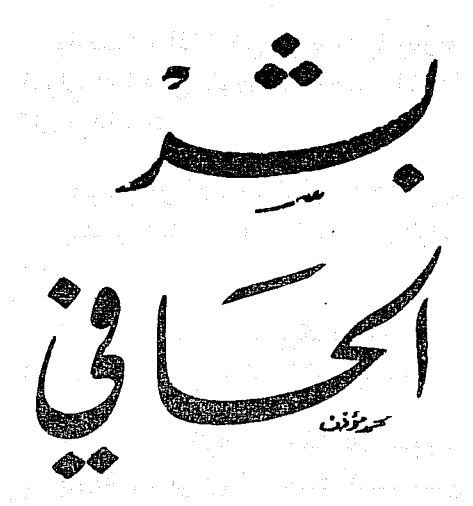


جاء من أقصى المدينة شيخ يسعى ، كان فى نحو التسعين له لحية بيضاء تملأ صدره ، عريض المنكبين فارع الطول ، يتوكأ على عصا غليظة كأنها جذع شجرة ، ومن عينيه ينبعث بريق حاد ، وعلى سمته مهابة .

وكان الناس حين يرونه يوسعون له الطريق ، ويردون عليه تحية الاسلام التي يطالعهم بها ، ثم ينظر بعضهم الى بعض فى عجب ، وفى عين كل منهم دهشة ، وعلى لسانه سؤال .

من الشيخ ؟ ومن أين يأتي .. ؟ وماذا يريد .. ؟

كان هذا الشيخ يلم بالمدينة حينا بعد حين ، قد يطول هذا الحين ويمتد حتى يبلغ شهورا ، وقد يقصر أمده الى أسابيع أو أيام ، ولكن الشيء الذى لا ريب فيه ، أنه عقب كل زيارة لهذا الشيخ تحدث فى المدينة أحداث جديدة عجيبة ، حتى لقد ظن البعض به الظنون ، فمن قائل أنه صوفي جوال من أهل الطريق ، ومن



بقلم محمد لبيب البوهي

قائل أنه عبد من عباد الله وهب حياتـه للنصح والتوجيه ، وبالغ بعضهم فى الظن حتى تصـوره روحا متجسـدا وقـال بعضهم انه أحد الجن الصالحين ، يتخذ صورة الانسان حينا بعد حين لأمر يراد .

وكان فى كل مرة يصل الى هدفـه فى خط مستقيم لا عـوج فيه ، يأتي مـن حيث يأتي ، من مكانه البعيد أو القريب الذى احتفظ بسره لنفسه ثم يقصد أحد الناس ، ثم يلقى اليه بكلمات فيها مـن التلميح أكثر مما فيها من التصريح وفيها مـن الاشارة اكثر مما فيها من الاعلان ، ولكنها تترك أثرها البعيد فى نفس سامعها الذى يتضح أنه كان فى مسيس الحاجـة اليها كما تكون الأرض الجدباء فى حاجة الى الماء .

وفى هذا المساء جاءيسأل عن دار بشر .

كان بشر فتى فى نحو الثلاثين أوتي من جميع مباهج الحياة حظا وفيرا ، الجاه العريض ، والصيت البعيد ، والشـباب الغض والوسامة والمـال والشيء الذى كان يشيع فى حياته كلها هـو الفراغ ، الفراغ الذى لا أول له ولا آخر . والذى أخذ على نفسه أن يملأ كل لحظة منـه باللهو ومسرات الشباب .

وعندما مات أبوه وورث بشر أمواله وقصره الكبير وهب هـذا القصر لرفاق السوء يتخذون منه مقاما لانتهاب الملذات وكان من سعة المال بحيث كان ينفق .. وينفق .. وينفق وهو لا يخشى فقرا ولا حرمانا .

وكان الوقت قبيل الغروب ، حـين وقف الشيخ المجهول عند الباب الكبير وأخذ يدقه بعصاه ، وفتح الباب وظهرت من خلفه حدائق غناء ذات أشجار لفـاء يسرح فيها البصر وتتنزه فيها الخواطر ، وصاح حارس الباب . —

يا عامرة انه الشيخ الذى جاء فى المرة السابقة يسأل عن سيدك بشر .

وجاءت عامرة على عجل ، كانت جارية شديدة المراس متجهمة الوجـه تعودت

أن تحد من نظراتها حين تتحدث وتجعل كلماتها قاسية تتقاذف كأنها قطع من الأحجار ، فقالت للشيخ فى غلظة . ـ

من أنت ؟ وماذا تريد ؟ جئت فى الليلة الماضية تسألني عن سيدى بشر وقلت لك انه نائم فماذا تريد منه الآن ؟ أتبغي أن تسأل عنه .. انه نائم ولن يستيقظ الا عندما يتقدم الليل ، ان ساعة صحوه حين يأخذ الناس فى التهيؤ للنوم .. ان سيدى بشر ليس من أبناء النهار ، انه سيد الليالي .

قال الشيخ :

اذن فسيدك بشر هو سيد الليالي

قالت عامرة فى مزيد من الجفاء :

بل سيد الدنيا كلها ، يمسكها بيمينه وينفق منها بشماله فماذا تريد ؟

قال الشيخ مخافتا :

كان بودى أن ارى ذلك الذى هو سيد الدنيا لأساله سؤالا واحدا ، أحر هو أم عبد ؟

وانفجرت الجارية فى ضحك ساخر عريض واشارت الى حارس الباب وهي تصيح تعال انظر ذلك الشيخ الخرف انه يسأل أحر سيدى أم عبد ؟

ثم اقتربت منه وقالت فى لهجة المعلم للتلميذ ، ماذا يكون الذى يملك المال .. والجاه .. والصيت البعيد ويستطيع أن يملأ الليالي بما يشاء .. هه..انه حر.. وحر .. حر .

قال الشيخ وهو يتحول عنها .

واحسرتاه اذا نهض من نومه يا جارية فقولي له انه لن يكون حرا بحق الا اذا كان عبدا بحق .

وهم الرجل أن ينصرف والفتاة تضرب يدا بيد ولكنها نظرت فاذا بحارس الباب يبكي .

قالت عامرة . ماذا يبكيك يا حارس الباب ؟ هل أصبت أنت الآخر بلوثة ؟

قال حارس الباب . هذا كلام عجيب يا جارية .. بودى لو فهمت شيئا من أعماق هذه المعاني وان اجلس الى هذا الشيخ ساعة استمع اليه .

وأسرع حارس الباب يجرى يمينا وأسرعت الجارية تجرى يسارا ولكن أحدا منهما لم يقع للشيخ على أثر .

وعاد حارس الباب يضرب كفا بكف وهو يردد أين ذهب الشيخ ؟ ترى أهو شبح كما يقولون أم انه روح هائم ؟ قالت عامرة .

لقد انتهز فرصة انشغالنا بالحديث وانصرف موليا او احتجب عنا خلف أشجار الطريق .

ومضت ساعات وحارس الباب غارق فى أفكاره وعامرة تردد هذه الكلمات العجيبة لن يكون سيدك حرا بحق حتى يصبح عبدا بحق .

وجاءت عربة فاخرة تجرها جياد مطهمة ونزل منها شباب جاءوا لزيارة بشر كما أقبل آخرون وآخرون مشاة وركبانا من سمار الليالي فى دار المسرات.

واستيقظ سيد الليالي ، بشر زين

الشباب وارتفعت فى الدار أنغام الموسيقى والغنـاء ودارت الكـؤوس وانتشـرت النشوى فى الأوصـال ونادى بشر على جاريته عامرة . وسألها ألم يحدث شيء وهو نائم .

فلما ذكرت له قصة الشيخ والكلمات العجيبة التي تحـدث بهـا . ارتفعت الضحكات الهازئة الساخرة مـن جميع الأركان ولكن الكأس توقفت فى يـد بشر ماذا ؟ ماذا قال يا فتاة ؟ لن اكون حـرا بحق حتى اصبح عبدا بحـق .. ؟ مـا هذا الكلام العجيب الغريب الذى اسمعه لأول مرة ؟

وهم بشر أن يضحك مع الضـاحكين ولكن عقله شرد الى بعيد ، كان فى اعماق الكلمات شيء يشـده بقوة فهز رأسـه وصفق بيديه وطلب المزيد من الشراب .

وغفلت عامرة عن طفل لها فى الثانية كان يحبو من خلفها كان يريد أن يتعلم كيف يقف على قدميه كان يقف ثم يحاول أن يسـير ثم يتعثر ثم يصـرخ وصـاح حارس الباب .. امسكي ولدك انه لن يستطيع أن يسير حتى يستند الى يدك .

وكان بشر يلاحظ الطفل فلما استمع الى هذه الكلمات توهجت عيناه وهمس فى نفسه .. لا يستطيع الطفل أن يسير حتى يستند الى شيء ؟

ونحن ـ ألسنا فى الحيـاة اطفالا .. اننا لن نستطيع أن نسير الا اذا استندنا الى شيء ـ الـى شيء قـوى ـ شيء عظيم ، شيء يوجهنا ويأخـذ بيـدنا ، وانا .. الى أى شيء استند ؟

وانتشر فى رأس بشر صداع أخذ يدقه بعنف فاستأذن من أصحابه وقام الـى النوم .

وفى النوم كان هناك صـوت خـافت يهمس لا بـد أن تسـتند الى شيء والا فأنت لا تسـير .. أنت تتعثر .. أنت تقع .. أنت تتحطم وأخذ الهمس يعلو .. ويعلو .. ويعلو وأحس بشر فى النوم أنه غارق فيما يشبه الضباب ، لن تكون حرا بحق حتى تصبح عبدا بحق .. تضـع يدك فى يد سيدك .. حينئذ تستطيع أن تسـير ، أن تـرى معالم الطريق .. ألا تخاف .. لأنك حـين تتعثر سيشدك ، وارتفعت الكلمات فى الرؤيا وأصبح لهـا ضجيج كأنها دقات الطبول .

وصرخ بشر .. وكان الشيخ قد جاء عند الباب وأخـذت عامرة تنهره فلمـا سـألها بشر ، قالت فى عنف انـه نفس الرجل جاء يسأل نفس السؤال .

وهب بشر من نومه على عجل ، وأسرع خلف الرجـل حافي القدمين .. قائلا لبيك .. لبيك . ولكن الشيخ كان قـد اختفى .

وأخـذ بشر يجرى .. ويجرى .. ويجرى باحثا عـن الشيخ .. أو عـن الكلمة .. أو عـن المعنى الجديد الذى أصبح مشدودا اليه يريد أن يختم على سره حياته وبعدها ظل بشر حافيا .. لم ينتعل نعلا أبدا لأنه ظل بعد ذلك مدى الحياة .. وكأنه فى صلاة .

محمد لبيب البوهي

الفتاوى

طلاء الأظافر

السؤال :

فى الأيام الأخيرة انتشرت بين سيداتنا المسلمات عادة صبغ الأظافــر بمختلف الألوان ــ فما حكم الشرع فى ذلك ــ وهل يجــوز الوضــوء مــع بقاء الطــلاء على الأظافر ؟ .

الجواب :

يجب على المرأة المسلمة أن تقوم بغسل هــذا الطلاء عند الوضوء لأنه يمنع وصول الماء فعلا الى الأظافر ، ويشترط لصحة الوضوء ازالة ما يمنع وصول الماء الى البشرة ، فــاذا توضأت المــرأة بدون أن تنزع هذا الطلاء فوضوؤها باطل شرعا لفقده شرطا من شروط صحته .

ووصول الماء الى البشرة والأظافر شرط أيضا فى صحة الغسل . كما هو شرط فى صحة الوضوء .

والاسلام لا يمنع المرأة من التزين والتجمل فى الحدود التي رسمها القرآن الكريم (وقــرن فى بيوتكن ولا تبرجــن تبرج الجاهليــة الأولى) و (يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) و (ليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها) .

تنازل الزوجة

عن جزء من الصداق

السؤال :

هل يجوز للزوجة أن تتنازل عن بعض صداقها لزوجها اذا كانت سنها حوالى ست عشرة سنة ؟؟ .

الجواب :

يعتبر الشخص رشيدا اذا كان سنه خمس عشرة سنة أو ظهرت عليه العلامات الطبيعية للبلوغ ، وكان حسن التصرف فى ماله ، وعلى هذا فمــا أقدمت عليــه الزوجة المذكورة من تنازلها عــن بعض صداقها جائز شرعا ولا حرمة فيه ، لأن الصداق حق من حقوقها ، ولها وحدها حق التصرف فيه لقوله تعالى (وآتــوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لــكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) ولا يجوز ــ كما هو مفهوم من الآيــة ــ اجبار الزوجة على التنازل عن أى جزء من صداقها بطريق القهر والاكراه .

النذر فى النوم

السؤال :

نذرت لله أثناء النوم ــ ان انقذ الله ابني ــ أن اصوم ثلاثة أيام، ولما استيقظت تذكرت هذا النذر فهل يجب الوفاء به ؟ .

الجواب :

لا يجب عليك الوفاء بهذا النذر الذى تلفظت به أثناء الاستغراق فى النوم لأن التكليف مرفوع عن النائم حتى يستيقظ قال رسول الله صــلى الله عليه وسلم : رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق .

العنب يتخذ منه الخمر ، والخمر محرم شرعا ، فهل يحل زراعة العنب .

العنب يتخذ للغذاء والتفكه فزراعته حلال ، ولا يمنع حل زراعته اتخاذ بعض الناس الخمر منه ، وهذا الحكم يطبق على جميع المواد التي يتخذ منها الخمر أو المخدر ، فاذا كانت لا تصلح الا لصنع المسكر فزراعتها حرام ، أما اذا صلحت لغير الاسكار كالبلح مثلا فلا حرمة في زراعتها .

ونفيد بأن صنع الخمر والاتجار فيها بيعا وشراء حرام شرعا يأثم عليه مرتكبه .

أنا خادم في خمارة ، وأناول الزبائن زجاجات الخمر ، فهل علي ذنب في ذلك ؟ .

كما لا يصح أن تتناول خمرا كذلك لا يحل أن تعين على تناولها . وتناول الخمر حرام لذاته ، والاعانة على تناولها حرام لغيره ، والمحرم لغيره يباح لضرورة ، فاذا كان السائل لا يجد عملا يرتزق منه غير هذا العمل فانه يباح له للضرورة — وعليه أن يسعى ليلا ونهارا للبحث عن عمل آخر يكتسب منه ، فاذا وجده حرم عليه أن يستمر في خدمة الخمارة والمخمورين .

ما حكم الله في مشروب البيرة التي تباع في بعض المحلات التجارية هل هي حلال أم حرام ؟ .

المعروف أن الكثير من البيرة يسكر فهي خمر وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : كل مسكر خمر وكل مسكر حرام . وفي رواية كل مسكر خمر وكل خمر حرام ، وصح عنه أنه قال : ما أسكر كثيره فقليله حرام .

تذكرت وأنا في الصلاة أنني تركت ساعتي في مكان الوضوء ، ولو أتممت الصلاة لضاع الأمل في العثور على الساعة فهل يجوز لي أن أقطع الصلاة لأبحث عنها ؟ مع العلم بأنني في جماعة وفي الصف الأول .

من القواعد المقررة أن الضرورات تبيح المحظورات ، ومن المعروف أنه لا يجوز قطع الصلاة الا لضرورة ، ولا شك أن انقاذ المال أو النفس ضرورة يجوز معها قطع الصلاة . قال ابن قدامه في (المغني) : وان احتاج (أي المصلي) الى الفعل الكثير في الصلاة لضرورة كان له أن يقطعها قال احمد — كما اذا رأى صبيين يقتتلان . يتخوف أن يلقى أحدهما صاحبه في البئر فانه يذهب اليهما فيخلصهما ويعود الى صلاته . وهكذا لو رأى حريقا يريد اطفاءه ، أو غريقا يريد انقاذه خرج اليه .

وأما كونه في الصف الأول وخروجه من الصلاة الى مكان الساعة يدعوه الى المرور بين أيدى المصلين فلا اثم عليه في هذا المرور . قال شمس الدين محمد ابى العباس المشهور بالشافعي الصغير في كتاب (نهاية المحتاج) : — نعم قد يضطر المار الى المرور بحيث يلزمه المبادرة لأسباب لا تخفى كانذار نحو مشرف على الهلاك تعين المرور لانقاذه وقال الشبراملسى في حاشيته — : لو توقف انقاذ المسروق على المرور فلا يحرم المرور ، ولا يجوز للمصلي أن يدفع المار في هذه الحالة .

وعلى هذا يجوز للسائل قطع الصلاة لانقاذ ساعته ، ويجوز له المرور في هذه الحالة بين الصفوف .

العمومية على اتفاقية الوصاية ، وخلال الفترة المذكورة يوضع الصومال تحت الوصاية الدولية وتكون ايطاليا السلطة القائمة بالادارة ، ويساعد السلطة القائمة بالوصاية ، ويقدم لها النصيحة مجلس استشارى يتكون من ممثلي دول كولومبيا ومصر والفلبين ، يكون مقره مقديشيو .

وعادت ايطاليا تتولى الادارة من جديد ، فأنشأت مجالس قبلية ، ومجالس مديريات ، ومجالس بلدية ، وتمسكت ايطاليا بأن يكون تشكيل المجالس بالتعيين فى حين أصر الشعب على أن يكون ذلك بالانتخاب ، وهنا تدخل المجلس الاستشارى ، وتكون المجلس الاقليمي من ٣٥ عضوا منهم ٢١ يمثلون القبائل ، ٧ يمثلون الأحزاب السياسية .

وفى ٢٥ فبراير ١٩٥٦ اجريت الانتخابات لجمعية تشريعية من سبعين عضوا منهم عشرة أعضاء يمثلون الأقلية غير الصومالية ، وقد حصل حزب الوحدة خلالها على الأغلبية ، فعهد الى أمينه العام عبد الله عيسى برئاسة أول وزارة وطنية .

وفى أعقاب قيام أول جمعية تشريعية شهد الصومال العديد من الانقسامات والتعديلات فى أحزابه فقد حدث شقاق فى حزب الوحدة أسفر عن تأليف حزب جديد باسم عصبة الصومال الكبير برئاسة الرئيس السابق لحزب الوحدة ، أهم برامجه توحيد جميع أراضي الصومال فى دولة واحدة ، أما حزب دجل ومريفله فتحول الى الحزب الدستورى المستقل ، واندمج الحزب الديمقراطي وحزب الشباب الصومالى الحر ليكون حزب الشباب الصومالي الحر ، وأطلق حزب شباب البنادر على نفسه حزب الاتحاد الوطني الصومالي .

أما فى الصومال البريطاني فكان يتولى تدبير أموره حاكم عسكرى ، الى أن صدر قرار فى سنة ١٩٥٩ بتكوين مجلس تشريعي ووزارة وطنية ، فأجريت الانتخابات فى فبراير ١٩٦٠ اعقبها تشكيل أول وزارة صومالية فى الاقليم ، وأعرب الاهالي عن رغبتهم فى الانضمام الى أشقائهم فى جزء الصومال الذى كانت تديره ايطاليا والذى كانت مدة وصاية الأمم المتحدة عليه قد انتهت ، فلم تر بريطانيا بدا من أن ترحل مختارة .

استقلال الصومال

وفى عام ١٩٦٠ أعلن استقلال جزأي الصومال اللذين كانا يحتلهما كل من بريطانيا وايطاليا ، وظهرت الى الوجود جمهورية افريقية اسلامية جديدة انضمت الى الركب المتحرر .

وفى ٦ من يوليو سنة ١٩٦١ انتخب السيد / ادن عبد الله عثمان رئيسا للجمهورية الصومالية وهو من مواليد سنة ١٩٠٨ وكان قد تلقى دراسته الأولية فى مدارس البعثات التبشيرية ، ثم عمل فى سنة ١٩٣٤ رئيسا لمرضي مستشفى دى مارتينو ، ثم أصبح فى سنة ١٩٤٤ من أبرز الشخصيات فى حزب وحدة الشباب الصومالي فرئيسا له فى عام ١٩٥٦ وانتخب نائبا بالجمعية التشريعية فى نفس السنة ، ثم انتخبته الجمعية رئيسا لها ، وهو عصامي مجاهد تواق لنصرة الاسلام .

مشاكل الصومال السياسية

وتواجه الصومال الآن مشاكل سياسية رئيسية فما زالت فرنسا تضع اليد على جزء من تراب الصومال ، وتدعي أنه جزء منها ، ثم تفسح المجال فيه لاسرائيل ، وما زالت منطقة أوجادين التي سمحت بريطانيا للحبشة بضمها الى أرضها نظير حيادها أثناء حركة استرجاع السودان وهرر التي استولت عليها الحبشة بعد انسحاب المصريين منها ، وما زالتا فى حيازة الحبشة ، كذا الأمر بالنسبة للمنطقة التي كانت قد ضمت الى كينيا ، وما زال الرأى العام الصومالي ينادى بوجوب استرداد هذه المناطق جميعا .

الحالة الاقتصادية

أما من الناحية الاقتصادية فقد ترك المستعمرون الصومال فى حالة تخلف اقتصادى تعمل الحكومة الآن على مواجهتها وتخليص البلاد منها .

فما زالت المراعي التى تشغل معظم مساحة الصومال والتي تزخر بالعدد الضخم من الماشية فى حاجة الى التنظيم الفني الحديث ، وما زال عدم وجود الطرق المرصوفة والسكك الحديدية عقبة تحول دون تصدير العدد الكبير منها الى الخارج .

وما زالت الزراعة لا تتجاوز ضفاف الأنهار والبحيرات الصغيرة العذبة او الينابيع والآبار ، وما زالت الطرق البدائية فى الزراعة هي السائدة . فى حين أنه يمكن زيادة رقعة الأرض المنزرعة كثيرا وزيادة الحاصلات الزراعية عن طريق ذلك ، وعن طريق اتباع الطرق الحديثة فى الزراعة .

أما المعادن مثل الملح والجبس والميكا والبترول والفحم فما زالت حبيسة فى جوف الأرض لم يستغل منها الا النزر اليسير .

ولا توجد بالصومال الا بعض الصناعات الصغيرة ، ويؤسفنا أن نقرر أن هذه الصناعات ، معظمها ، فى أيدى غير الصوماليين الذين لا يدفعون للعمال الصوماليين الا اجورا تافهة كما أنهم لا يحسنون معاملتهم .

مساعدة الدول العربية للصومال

ويحرص الصومال على تدعيم صلاته بشقيقاته الدول العربية والاسلامية التي حرصت منذ اعلان استقلال جمهورية الصومال على مؤازرتها أدبيا وماديا ، فقامت الجمهورية العربية المتحدة بتزويد الصومال بالفنيين والخبراء ، كما وضعت تحت تصرفه تسهيلات ائتمانية قيمتها أربعة ملايين من الجنيهات الاسترلينية على أن يستغل هذا المبلغ فى اقامة مصانع للغزل والنسيج والسكك الحديدية وتوسيع مطار مقديشيو وانشاء طرق ومساكن وتمويل بعض الصناعات الصغيرة .

وفى الشهور الماضية قام وفد من غرفة التجارة الكويتية بزيارة جمهورية الصومال واجتمع بالمسئولين فيها والأمل أن يتم انشاء شركات عربية ـ صومالية للنهوض بالمستوى الاقتصادى للبلاد واستغلال مواردها استغلالا يهيىء النفع للعرب ، ويهيىء فرص العمل للعمال الصوماليين ، ويحقق الرخاء لبلادهم . والمجال فى ذلك فسيح فيمكن أن تقوم شركات لتصدير المواشي واستخراج المعادن وانشاء صناعات غزل ونسيج القطن وغزل ونسج الصوف ودبغ الجلود وعمل الأحذية والمصنوعات الجلدية ، كما يمكن انشاء مصانع للمنتجات الغذائية مثل السكر من قصب السكر والزيوت من بذرة القطن والسمسم والفول السوداني ، كما يمكن تعليب اللحوم والأسماك للوفاء بحاجة الجمهورية الصومالية للتصدير .

ولو أن شركات عربية صومالية مشتركة قامت بتنفيذ بعض ما سبق أن ذكرنا لاستفادت كثيرا ، ولساهمت فى رفع المستوى الاقتصادى لاخوانهم الصوماليين فى وقف النشاط الاسرائيلي والدعوات الهدامة .

بعض المراجع :

١ ـ التنافس الدولى فى بلاد الصومال للدكتور جلال يحيى
٢ ـ مشكلات القارة الافريقية للدكتور راشد البرادى
٣ ـ افريقيا وراء الصحراء للدكتور عبد الملك عوده
٤ ـ العلاقات المصرية الصومالية للدكتور جلال يحيى

بريد الوعي الإسلامي

إعداد : محمد ابو غوش

في بريد المجلة رسالة من الأستاذ الشيخ عبد الله النورى المحامي بالكويت يقول فيها : ـ

المجلة والحق يقال ، غزيرة فى مادتها ، نافعة فى كلماتها ، جزلة فى محتوياتها ، قشيبة فى مظهرها ، وامنيتي ـ واسأل الله أن يحققها ـ هي أن يحرص المسؤولون فيها على أن تبقى هذه المجلة حاملة لواء التعليم الديني ليعرف المسلمون من سطورها أمور دينهم فتشب ناشئتهم على ما يفهمه الآباء منهـا .

ومن الأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامي ـ بمكة المكرمة وصلتنا هذه الرسالة : ـ

« ... ان الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي لترحب بهذه المجلة وزمالتها فى الكفاح لنشر « الوعي الاسلامي » والدعوة الى اعلاء كلمة الله ، ونقدر فى اعجاب الجهد المشكور الذى بذل فى اخراجها بهذه الصورة المشرفة .

لماذا لا تصل الرياض

وتلقينا رسالة من الأستاذ عبد الله بن ادريس رئيس تحرير صحيفة الدعوة بالرياض يقول فيها :

(.. لقد قرأنا الاعلان عن صدور المجلة الاسلامية « الوعي الاسلامي » واستبشرنا خيرا بميلاد مجلة ثقافية اسلامية ، وتطلعنا بشوق لقراءتها والاطلاع عليها ، ولكننا بكل أسف ، لم نر هذه المجلة ، ولم نجدها فى مكتبات الرياض بأجمعها ولا عند أحد ممن نعرف ، كي نحظى برؤيتها .. فنرجو الافادة عن توزيعها وكيفية الحصول عليها ...

ـ شكرا على مشاعرك الكريمة تجاه « الوعي الاسلامي » وموزع المجلة فى السعودية الأستاذ سعيد بابيضان ـ ص.ب (٧٦) الخبر مكتبة النجاح الثقافية . وقد كتبنا الى شركة التوزيع بذلك .

ويقول فضيلة الشيخ محمد النجار شيخ رواق الحارزة بالأزهر

« ... لقد سررنا غاية السرور بهذا الحدث الهام وذلك المولود الجديد الذى انطلق رائدا فى محيط الفكر الاسلامي .. فان « الوعي الاسلامي » بما حوته من مقالات وأبحاث اسلامية وثقافية تعد فى رأينا من المنارات الاسلامية الجديدة التي ولدت قوية وانطلقت جبارة فى مواجهة تيارات الفكر المادى والالحادى الذى يريد أن يزعزع كيان الفكر الروحي » .

ومن السنغال وصلتنا هذه الرسالة من السيد صالح انجاى ـ بدكار

« ... يسعدني جدا أن ابعث اليكم هذه الرسالة المتواضعة تعبيرا عما يجيش فى صدرنا من فرح وسرور بصدور مجلة « الوعي الاسلامي » راجيا تزويدى بالبيانات المطلوبة لأكون فى عداد المشتركين فى المجلة التي نعتز بها كثيرا .

شكرا وسنعمل على توزيعها فى السنغال .

ردود سريعة

الأستاذ محمد المجذوب ـ الجامعة الاسلامية ـ المدينة المنورة .

ـ المجلة ترحب بما يصلها من أشعاركم وقد سبق للمجلة أن كتبت اليكم لتسهموا فيها بمقالاتكم . وشكرا .

السيد محمد الخياط ـ بور توفيق ـ ج٠ع٠م .

ـ نأسف لعدم اجابة طلبك لنفاد العددين الأول والثاني .

السيد علي يوسف القاضي ـ الوجه القبلي ـ ج٠ع٠م .

ـ نأسف لنفاد العدد الأول اما الاشتراك فيمكنك الاتصال بمندوب المجلة فى القاهرة ص.ب (١٤٨٣) .

السيد نبيل شعبان ـ بغداد ـ العراق .

ـ « الوعي الاسلامي » يهمها نوعية المقال ، لا هوية صاحبه ، والمجلة تفتح صدرها لكل مقال صالح يتفق وسياسة المجلة الاسلامية . أما قيمة الاشتراك الخارجي فهي (١٥٠و١) فلسا .

السيد محمد عبد الرضا مجيد ـ قضاء الشامية ـ العراق .

ـ نأسف لنفاد العدد الأول ، وأما قيمة الاشتراك الخارجي فهي (١٥٠و١) فلسا .

السيد جعفر حسين جنوش ـ الكوفة ـ العراق .

ـ لا يوجد فى مكتبة الوزارة فائض من الكتب للتوزيع ، نأمل أن تتاح لنا الظروف لتزويدكم بما تحتاجون .

السيد سعيد مريع ناصر ـ تبوك ـ السعودية .

ـ نعتذر عن عدم تزويدك بالعددين الأول والثاني لنفادهما ، وبخصوص الاشتراك يمكنك تحويل ما قيمته (١٥٠و١) فلسا عن طريق أحد المصارف .

السيدان احمد يوسف آل وهاب ومحمد كاظم ـ العراق .

ـ أرسلت اليكما رسالتان بقيمة الاشتراك ولعدم وضوح عنوانيكما ، فقد أعادهما البريد والقيمة ١٫٧٥٠ فلسا .

السيدان سليمان جار الله الريث ـ الجيش الكويتي ـ الكويت .

ـ شكرا على اهتمامك بـ « الوعي الاسلامي » ويمكنك أن ترسل قيمة الاشتراك مع اسم وعنوان المشترك لترسل اليه المجلة .

السيد الدكتور محمود الحاج قاسم ـ موصل ـ العراق .

ـ ارسلنا اليك العدد الثاني بتاريخ ٦٥/٦/٣ عن طريق البريد الجوى ، ويمكنك مراجعة البريد لديكم للتأكد من الوصول ، وشكرا ،

السيد محمد هادى البتى .

ـ شكرا على اقتراحاتك القيمة وهي موضع الدراسة مع بقية الاقتراحات بالمجلة .

السادة مبح عبد المجيد سعدون . سلطان غانم ، وعبد المنعم محمد أرسلوا مقالات وقصائد منوعة .

ـ نأمل أن نتمكن من نشر مقتطفات منها فى الأعداد المقبلة .

بقية خواطر

على الفقراء والمساكين الى غير ذلك من وجوه البر والمعونة اصبحنا نجد اوقافا على بعثات تعليمية توفد الى الجامعات العلمية ، او على جوائز تعطى للمتفوقين فى مراحل الدراسة المختلفة ، او فى مادة من المواد التي تخفف ويلات الانسانية وتقوم بدور كبير فى رفاهية المجتمع ، او على بناء مصنع لتعليم الصناعات الى غير ذلك من وجوه البر والمعروف ، والناظر فى حجج اوقاف المسلمين يجد الشيء الكثير من هذا .

وما كان يدور بخلد احد ان المشاعر ترق وتسمو حتى تصل الى ما نشرته صحيفة الاهرام القاهرية في ٦٥/٤/٢٢ فقد جاء فيها –

اكتشفت فى وزارة الاوقاف المصرية ثلاث حجج لاوقاف فى منتهى الغرابة سمى الوقف الاول منها باسم « وقف الزبادى » ويصرف منه على دار خاصة تضم كميات كبيرة من الاوانى الخزفية والاوعية والصينى والبلور وتعطى للخدم الذين تكسر فى ايديهم اوانى مخدوميهم حتى لا يضار الخدم وتسوء العلاقة بينهم وبين مخدوميهم .

وسمى الوقف الثاني «وقفالاعراس» ومهمته اعارة الحلى الذهبية والزينة « لكل عروس فقيرة » حتى تبدو ليلة زفافها الى عريسها الفقير فى أكمل زينة وأجملها .

وسمى الوقف الثالث « وقف المغاضبات » ومهمته تأسيس دار لاستضافة السيدات الغاضبات من ازواجهن ، اللواتي لا يجدن مأوى لهن ، وليست لهن اسر يلجأن اليها . او تكون اسرهن فى بلاد بعيدة . وهذه الدار جميع موظفيها من النساء ، ويعد فيها الطعام والشراب والاقامة حتى لا يتعرضن للاخطار . وتضم الدار (مرشدة) تهيىء نفوس النزيلات وتعالج اسباب الغضب معهن حتى تعود العلاقة الطيبة بين المرأة الغاضبة وزوجها .

ولعل من قبيل المصادفات التي ساقها القدر ساعة تدوين هذه السطور قصة من صميم الحياة ومشكلة من مشكلات المجتمع الذى نعيش فيه تتصل بهذا الموضوع اتصالا وثيقا – فهذه سيدة تدلف الى وزارة الاوقاف للبحث عن حل لما تعانيه من قسوة زوجها وانحرافه . تزوجها فى لبنان وانتقل بها الى الكويت ومضى على زواجهما ست سنوات،انجبتخلالها اربعة اولاد قاست فيها الامرين وهي عاملة وزوجها سكير مستهتر يأخذ راتبها ويضربها صباحا ومساء ويدخل عليها كل ليلة فى حال مزرية وعصبية حمقاء واخيرا حاول ان ينتقل بها الى بلاده ، وهي تخافه وتخشاه،فماذا تصنع ؟! أشار عليها بعض السامعين لقصتها ان تعود الى وطنها بأولادها لتعيش فى حماية اسرتها ، فاعتذرت بأن جواز سفر الاولاد مع جواز سفره واشار عليها آخر بأن ترفع عليه دعوى التفريق للضرر ، فاجابت كيف يمكن ذلك وانا اعيش معه فى بيت واحد ، وابدت استعدادها لتنفيذ هذا الحل اذا وجدت بيتا يأويها ويحميها – فأين بيت المغاضبات .... ؟؟



القاهرة

ــ نشرت صحيفة الأهرام القاهرية أن الدوائر المسئولة علمت أن اسرائيل تعيد الآن طبع آلاف النسخ من المصحف الشريف الذى حرفته عام ١٩٦٠ ،لتوزعه فى الدول الافريقية والآسيوية ، وعليه الشعار الرسمي لاسرائيل . وأن المهندس احمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء للأوقاف طلب موافاته ببيانات تفصيلية عاجلة لاتخاذ الاجراءات من أجل تحذير المسلمين فى هذه الدول من تداول هذا المصحف المحرف .

ويتناول التحريف اسقاط بعض الآيات القرآنية وتحريف بعض الكلمات وعشرات من الأخطاء المطبعية واللفظية .

ــ تقوم الأمانة العامة لجامعة الدول العربية حاليا باتصالات دبلوماسية مستمرة لاقناع حكومات عدد كبير من دول العالم وخاصة الدول الآسيوية والافريقية ودول عدم الانحياز بعدم السماح لليهود فيها بالهجرة الى اسرائيل لأن هؤلاء المهاجرين يشكلون خطرا على العالم العربي واقناع هذه الدول بأن السماح لرعاياها اليهود بالهجرة الى اسرائيل من شأنه أن يؤثر فى العلاقات الودية بينها وبين الدول العربية .

بيروت

ــ أوصت الدورة التاسعة للجمعية العامة لاتحاد السفر والسياحة فى البلدان العربية التي أنهت اجتماعاتها فى بيروت فى الشهر الماضي بالغاء نظام جوازات السفر بالنسبة للمواطنين العرب أثناء تنقلهم بين البلدان العربية . كما دعت الى اجراء تخفيض فى تكاليف السفر بين البلدان العربية . وقد قررت الأردن اعفاء رعايا دول السوق العربية المشتركة من تأشيرات الدخول الى الاردن والاكتفاء بالتأشير على جوازات سفرهم عند دخولهم من مراكز الحدود .

الكويت

أذاع راديو الكويت ان صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح امير دولة الكويت المعظم تبرع بمبلغ عشرين الف دينار للجامعة الازهرية .

وسيطلق اسم سموه على أحد مدرجات الجامعة الازهرية .

* استقبل سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الأوقاف العامة فى مكتبه فى الشهر الماضي السيد احمد ديمانكو رئيس الاتحاد الاسلامي فى الفلبين ، ودامت المقابلة زهاء ساعة ، دار الحديث خلالها حول طلب رئيس الاتحاد قبول طلاب من بلاده لتلقي العلوم الدينية فى الكويت ، ومساعدة الاتحاد ماديا لبناء مساجد ومدارس لتعليم أبناء المسلمين هناك الدين الحنيف ، وقد لقي الضيف كل رعاية واهتمام من سعادة الوزير .

* قررت وزارة الأوقاف تزويد مساجد الكويت ببرادات للمياه .

* طلبت وزارة الارشاد والأنباء من

وزارة الأوقاف تزويدها بمائتي نسخة شهريا من مجلة الوعي الاسلامي وذلك بناء على طلب من وزارة التربية التي ستقوم بتوزيعها على المكتبات العامة والمعاهد الدينية فى الكويت .

الرياض

- يبحث مندوبو وزارة المواصلات والمالية والتجارة ومندبون عن الكويت والأردن امكانية ربط هذه الدول بخط مسفلت لتسهيل المواصلات بينها .. هذا بناء على توصيات المجلس الاقتصادى فى الجامعة العربية .

* تدرس الجهات المختصة موضوع انشاء المجلس الأعلى لنشر الثقافة العربية . ويستهدف المجلس العمل على نشر الثقافة العربية واللغة العربية خارج الوطن العربي ، والتعريف بالقضايا العربية وبالوطن العربي وامكانياته الثقافية والحضارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والاستراتيجية عن طريق النشر والمطبوعات وغير ذلك .

* وجه المركز الاسلامي فى مانيلا دعوة لسعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الأوقاف لزيارة الفلبين وقد قبل سعادته الدعوة ، ولم يحدد موعد القيام بها .

* أصدر الاتحاد الاسترالي للجمعيات الاسلامية فى مدينة اولايد باستراليا الجنوبية مجلة المنار ويرأس تحريرها الأستاذ رشيد دون ج. كريج وهي تستهدف تعريف غير المسلمين بالاسلام ، وتوثيق الصلات بين المسلمين فى أقطار الأرض .

نرحب بالزميلة ونرجو لها التوفيق فى مهمتها السامية .

* تقدمت زامبيا بعد استقلالها بطلب لهيئة الامم المتحدة لقبولها عضوا فيها ومما يذكر أن المسلمين فيها يبلغون ٨٤٪ من عدد السكان .

*** أدرج فى ميزانية وزارة الأوقاف الكويتية هذا العام مبلغ عشرة آلاف دينار لاحياء التراث الاسلامي وثلاثة آلاف دينار لشراء كتب تزود بها مكتبة الوزارة وألف وخمسمائة دينار للموسم الثقافي واستضافة بعض كبار الأساتذة المحاضرين من الدول الاسلامية لالقاء محاضرات فى المشكلات المعاصرة التي تواجه المسلمين .**

* كما تضمنت الميزانية عددا من الوظائف لدعم جهاز الدعوة والارشاد ، وتتعاقد الوزارة مع عدد من علماء الأزهر ليقوموا بمهمة الامامة والخطابة والتدريس فى مساجد الكويت .

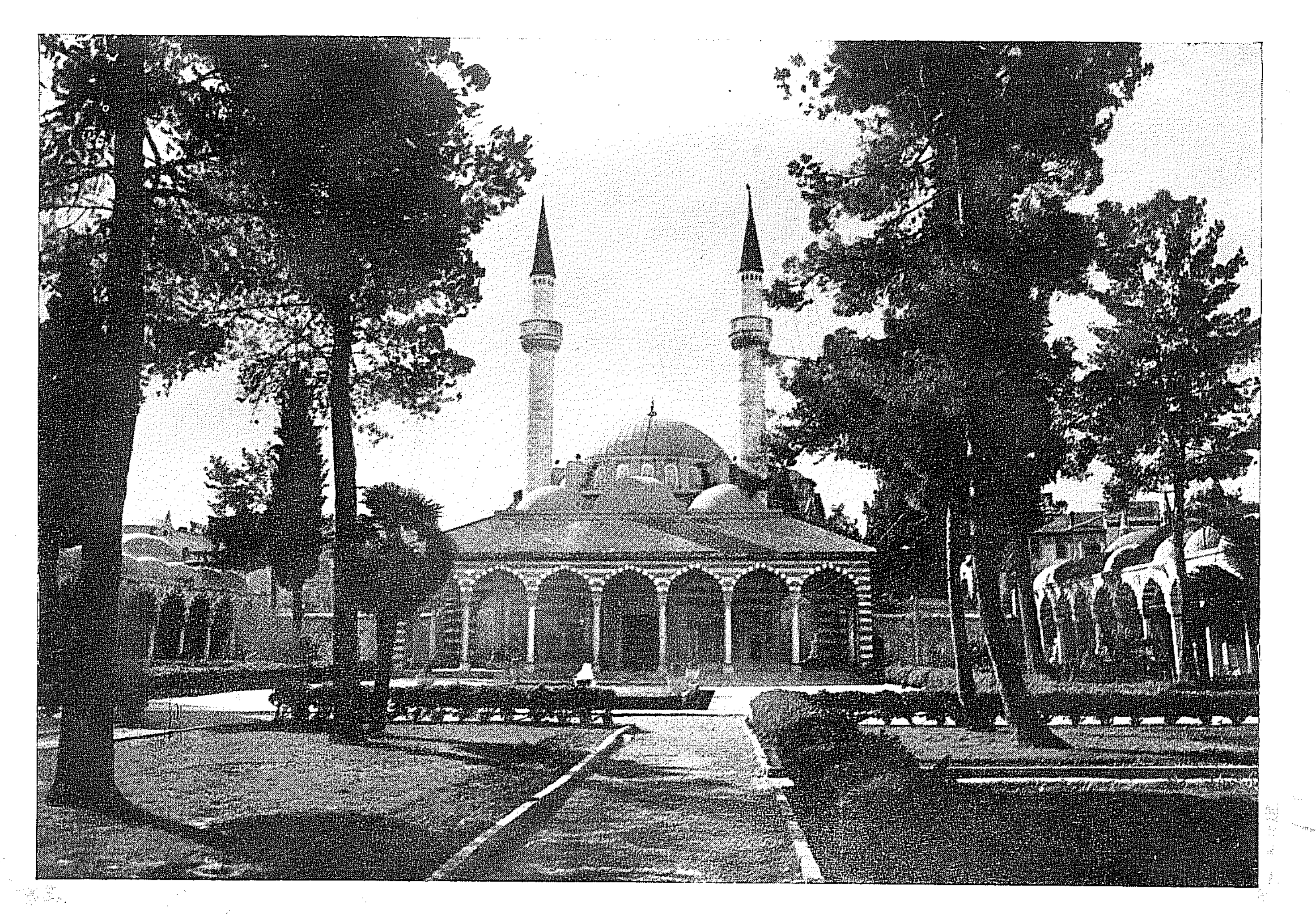
* وخطت الوزارة خطوات واسعة فى مشروع انشاء مسجد الدولة الكبير قرب قصر السيف يتسع هذا المسجد لسبعة آلاف مصل ، ويلحق به مكتبة ومصلى للسيدات ومساكن لموظفيه ، وتقدر تكاليف انشائه بمبلغ (٨٠٠٠٠٠) ألف دينار ، وسينشا على الطراز الأندلسي ، وقد طلبت وزارة الخارجية من سفارة الكويت بالمغرب اختيار مهندس مغربي لوضع التصميمات المطلوبة لهذا المشروع الضخم .

* وتقوم الوزارة حاليا باستلام عدد من المساجد التي أقيمت حديثا .

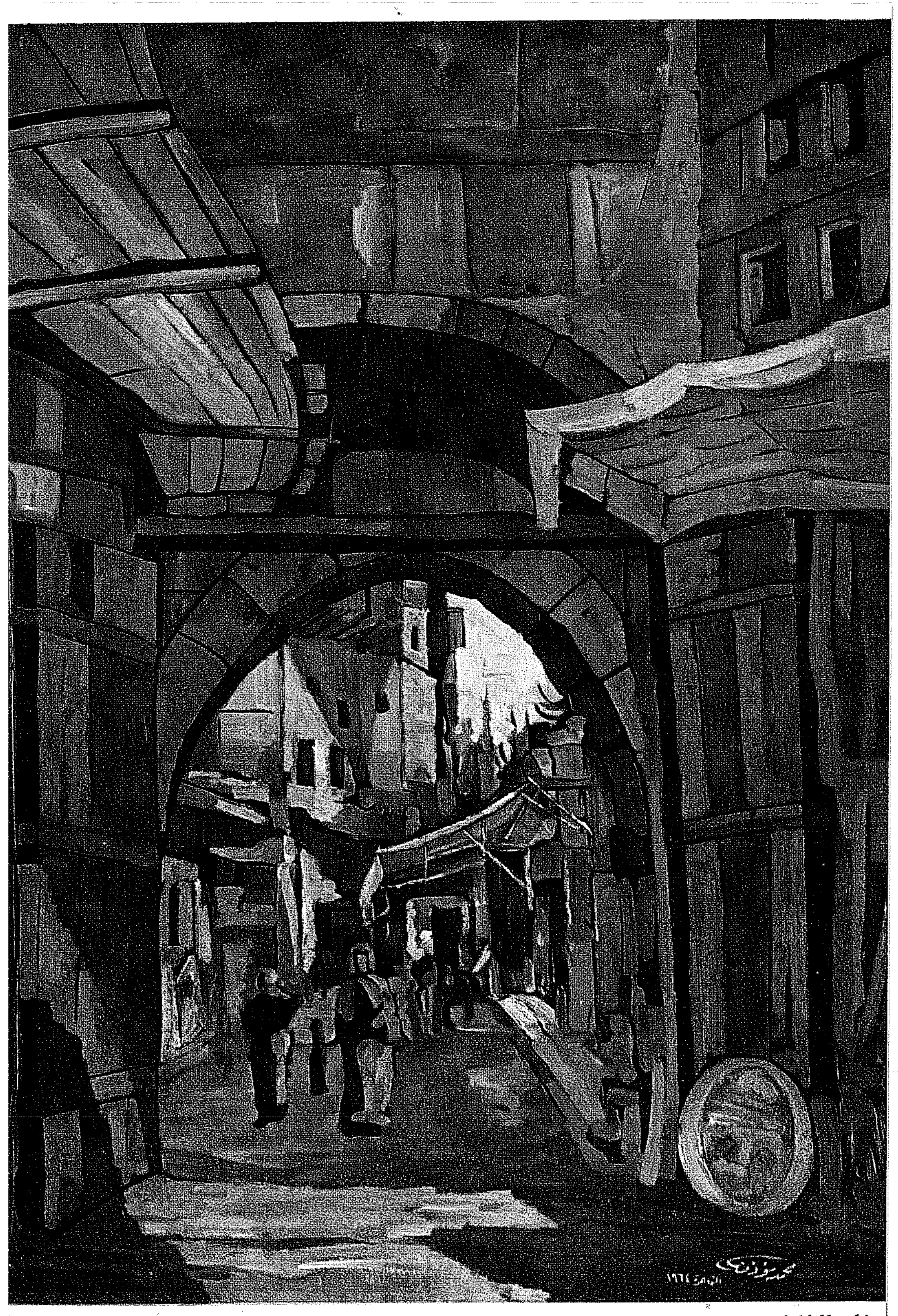
وقد قررت الوزارة اقامة مدينة سكنيه بمكة واخرى بالمدينة ليقيم فيها الحجاج الكويتيون فى موسم الحج والزيارة ، وقد تم اختيار الارض اللازمة لذلك .

اجتمع سعادة خالد المسعود وزير التربية بفضيلة الشيخ احمد حسن الباقورى مدير جامعة الازهر ، وبحث معه موضوع انشاء كلية لأصول الدين بجامعة الكويت التي ستفتح قريبا ، وتطبيق النظم والمناهج التي تسير عليها كلية اصول الدين بجامعة الازهر .

نشرت صحيفة الرأى العام الكويتية ان حوادث المرور الناجمة عن الخمور انخفضت بنسبة ٩٥٪ عما كانت عليه قبل صدور قانون منع الخمر ، ولم يبق الا ٥٪ وهذه النسبة الضئيلة ينتظر ان تنعدم فى المستقبل القريب .



جامع
السلطان
سليم
بدمشق



خان الخليلي حي شعبي اسلامي من القاهرة — لوحة زيتية بريشة : **محمد مؤذن**